سهل بن هارون

وكتاب النمر والثعلب

فصول مترجمة ومؤلفة

د. إبراهيم عوض

سهل بن هارون
وكتاب النمر والثعلب

فصول مترجمة ومؤلفة

المنار للطباعة والكمبيوتر
ت : ٢٩٦٤٨٤٤
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

مقدمة

يضم هذا الكتاب فصولاً خمسة : الأولان منها ترجمة للفصلين اللذين كتبهما بالفرنسية د . عبد القادر المهيرى عن سهل بن هارون و « كتاب النمر والثعلب » ، أحد أعمال ذلك الكاتب العبّاسى التى كنّا لا نعرف عنها أى شىء تقريبا سوى أسمائها .

وقد عثر د . المهيرى على مخطوطة وحيدة لذلك الكتاب فحققها ودرسها وحصل على درجة الدكتوراه من فرنسا . وهذا الفصلان يغطيان من ص 13 إلى ص 30 من كتاب المؤلف الذى أصدره عام ١٩٧٣م ضمن مطبوعات جامعة تونس « Publications de L'Université de Tunis » بعنوان :

« An - Namir Wa - ṭ - ṭ a' lab »

(Le Panthère et le Renard)

أما الفصول الثلاثة الأخرى فهى من تأليفى . وقد أدرت الفصل الأول منها (وهو الثالث فى الترتيب بين فصول الكتاب الخمسة) حول مناقشة دعوى الشعوبية والزندقة اللتين اتُّهم بهما سهل بن هارون ، ومدى صحة نسبة الرسالة التى تدعو إلى البخل وتُعْزَى عادةً إليه .

وفى الفصل الثانى من الفصول الثلاثة (وهو رابع فصول الكتاب) درستُ البناء الفنى لقصة « النمر والثعلب » وقارنت بينها وبين

قصص كتاب « كليلة ودمنة » لابن المقفع . ثم يأتى الفصل الأخير ، وهو أطول فصول الكتاب كله . وقد جعلته للملاحظات التى بدت لى أثناء قراءة نصَ « كتاب النمر والثعلب » ، الذى حقّقه د . المهيرى ، وكذلك أثناء مراجعة ترجمته الفرنسية لهذ العمل على الأصل العربى .

وإننى لأرجو أن يكون فيما سطّرته فى هذه الفصول الثلاثة وفى ترجمتى للفصلين اللذين وضعهما د . المهيرى بالفرنسية عن سهل بن هارون وعمله شىء من النفع لدارسى الأدب العربى . والله ولى التوفيق .

سهل بن هارون

بقلم عبد القادر المهيرى

(ترجمة إبراهيم عوض)

عندما يفكر الانسان فى دراسة كاتب كسهل بن هارون فإنه يصطدم بعقبات كثيرة لا يمكن تخطيها ، وذلك من ناحية الوثائق التى تحت أيدينا فى الوقت الراهن . فهذا الكاتب الذى استحوذ أسلوبه على إعجاب نقاد ذوّاقين ذوى خبرة مثل الجاحظ وأبى حيان التوحيدى وأبى العلاء المعرى وابن شُهَيْد لا نجد إلا بعض المعلومات الشحيحة والمختصرة عن حياته (١) . ولا تسمح لنا المعطيات التى تقدمها هذه المعلومات بتكوين فكرة ولو موجزة عن مراحل حياته الهامة . وإذا كنا نعرف أنه ينتمى إلى دَسْتَمَيْسَان وأنه عاش فى بداية حياته فى مدينة البصرة (٢) ، فإننا فى ذات الوقت لا نعرف أى شيء عن أسرته أو عن إقامته فى تلك المدينة . ونحن نفتقر هنا تمامًا إلى تلك الحكايات التى يستشهد بها كتاب التراجم عادة لإلقاء الضوء على هذه الفترة أو تلك من حياة المؤلفين المحظوظين . وإذا كان فى أعمال كاتب مثل الجاحظ من الاشارات ما يسمح لنا بأن نستنتج أن تكوينه الثقافى مرتبط أوثق الارتباط بـ « البيئة البصرية » ، فإنه فى حالة سهل بن هارون لا يوجد بين أيدينا شيء يمكننا التوصل عن طريقه إلى مثل هذا الاستنتاج . وبدلاً من

الاكتفاء بالعموميات عن الحياة الثقافية فى البصرة فى القرن الثانى الهجرى كما فعل كُرْد على (٣) ، فإنه من المفيد بعض الشيء فى رأينا أن نعرف إلى أى حدّ تأثر سهل بالبيئة التى قضى فيها فترة شبابه . بل إنه حتى من غير الممكن أن نقوم ببعض الافتراضات حول الأشخاص الذين عرفهم أو الكتب التى قرأها إذا أخذنا فى الاعتبار أننا لا نعرف حتى تاريخ ميلاده ولو على وجه التقريب .

وتتعلق المعلومات النادرة التى نعرفها عنه بحياته فى بغداد حيث ذهب إلى هناك تجذبه ، فيما نظن ، الأهميةُ التى أخذت عاصمة العباسيين تتمتع بها آنذاك ، وتحدوه دون ريبٍ الرغبةُ فى الحصول على منصب يتكافأ ومواهبه . بيد أن هذه المعلومات الشَّظَوِيّة لا تمكننا البتة من تكوين صورة لحياته فى تلك المدينة . إننا لا نعرف فى أى تاريخ انتقل إليها ، ولا الظروف التى ساعدته على الوصول إلى من بيدهم مقاليد السلطة . والتاريخ الوحيد الذى يمكن أن نقول إننا متأكدون منه هو عام ١٨٧ هـ / ٨٠٢ - ٨٠٣ م . وفى الواقع فإننا بفضل الرواية التى حكاها لنا بنفسه عن سقوط البرامكة نعرف أنه كان فى ذلك الوقت كاتبا ليحيى البرمكى ، وأنه كان مع يحيى هذا عندما تلقى نبأ النهاية الشنيعة لابنه جعفر (٤) . وإذا كان هذا النص يقول إنه كان يقوم بتحصيل الأرزاق (٥) ، فإننا على

العكس من ذلك لا نعرف أى شيء عن الوظائف السابقة التى كان يشغلها ولا عن طبيعة الصلات التى كانت تربطه حينذاك بالخليفة هارون الرشيد . ويبدو أن سهلاً كان يتمتع فى الواقع بإكرام هذا الخليفة قبل نكبة البرامكة (٦) . كذلك فليس هناك ما يعيننا على أن نحدد بدقةٍ الدورَ الذى قام به ما بين سقوط هؤلاء وتولى المأمون الخلافة . وهو يؤكد لنا أنه قد خَلَف يحيى البرمكى فيما كان يشغله من وظائف (٧) . أمّا المؤرخون فإنهم يلوذون بالصمت أمام هذه المسألة ، وهو ما يبدو لنا غريبًا إذا علمنا أهمية هذه الوظائف التى كانت مسندة إليه . كذلك لا نستطيع إلا أن نتابع م. سُوْرِدل M. Saurdel فيما يراه من أنه إذا كان سهل قد خَلَف فعلاً يحيى البرمكى فلا يمكن أن يكون هذا إلاّ بصفة مؤقتة (٨) .

وفى عهد المأمون يظل اسم سهل بن هارون مرتبطًا بـ « بيت الحكمة » أو ، على حسب التسمية الأخرى ، « خزانة الحكمة » (٩) . وكان الفضل بن سهل قد قدمه للخليفة ، الذى « أُعْجِب ببلاغته وعقله » ، وأمكنه بذلك أن يتولى مسؤولية إدارة هذه المكتبة وربما أيضا مكتبة الخليفة الخاصة (١٠) . ولكننا هنا أيضا لا نعرف بالضبط الدور الذى قام به لدى الخليفة . ويبدو أنه كان واحدا من خلصائه (١١) . لكن هل يمكن أن نعدّ عدم ذكر

المؤرخين لوفاته ضمن أحداث عام ٢١٥ هـ / ٨٣٠ - ٨٣١ م علامة على قلة أهمية الوظائف التى تولاها ؟ أم إن ذلك الصمت راجع إلى عدم تأكدهم من تاريخ وفاته ؟ (١٢)

وهكذا فليس من المبالغة القول بأنه لاشيء تقريبًا يمكن أن نسوقه على وجه اليقين فيما يتعلق بحياة هذا الكاتب الذى أقرت الدنيا كلها بموهبته الأدبية ، ربّما لتعويض غياب المعلومات الدقيقة المتعلقة به .

ومادام الأمر كذلك فكيف نصدّق الروايات التى تجعل منه أحد مشاهير الشعوبية حتى لو ردّد هذه الروايات كل من تحدث عنه تقريبا ؟ وإذا كان حقا أحدَ عتاة الشعوبيين فكيف نفسّر ميله إلى تعريب جنس أدبى ذى أصل فارسى خالص ؟ (١٣) وكيف نفسر تحمس الجاحظ الشديد له ؟ وكيف نعلّل الصورة الزاهية جدا التى رسمها له أبو عثمان (١٤) ، وهى الصورة التى تتسق من ناحية أخرى مع تلك التى تركها لنا عنه كاتب آخر معاصر له ؟ (١٥) لا جدال فى أن هناك سرًا ما يحيط بذلك الكاتب ، سرًا زاده غموضا ضياعُ كل آثاره تقريبا .

وهذه الآثار تضم اثنى عشر عنوانًا (١٦) . بيد أن أغلبية هذه العناوين هى من الغرابة بحيث إنه من المستحيل القيام بأية افتراضات

بالنسبة لمحتوى الأعمال التى تشير إليها . وإن اختلافات الرواية التى يجدها الباحث بين مرجع وآخر لتسمح بالشك فى دقة النقل . وهذا هو الوضع بالنسبة لكتاب الغَزَالَيْن ، وكتاب أسَد بن أسَد ، وكتاب أسباسيوس فى اتحاد الاخوان (١٧) ، وكتاب الضَّرَّتَيْن (١٨) ، وكتاب الوامق والعذراء . وإلى جانب هذه العناوين توجد لحسن الحظ عناوين أخرى واضحة بدرجة كافية تمكننا من افتراض أنها تتعلق بعمل يعكس اهتمام سهل بن هارون بمشاكل السلطة والسياسة وفن كتابة الرسائل . وبمستطاعنا أن نذكر من هذه العناوين كتاب تدبير المُلك والسياسة ، وهى رسالة فى القضاء موجهة إلى عيسى بن أبان ، وكتاب الرسائل . ويذكّرنا عنوان كتاب « الهذلية والمخزومى » بعناوين تلك الكتب التى تتكلم عن الطوائف . ولكن ابن النديم ، الذى يذكر هذا الكتاب فى قائمة مؤلفات سهل ، يُبْرِز من بين القصص التى تدول حول عشاق الجاهلية وصدر الإسلام كتابًا يحمل تقريبا نفس هذا العنوان ، وهو « كتاب المخزومى والهذلية » (١٩) .

ومن الممكن أيضا أن نتخيل ماذا يمكن أن تكون طبيعة عمل آخر هو « ثعلة وعفرة » (٢٠) . وفى الواقع فإن كل من تحدثوا عن سهل يتفقون فى القول بأنه قد ألفه على مثال « كليلة ودمنة » . وقد بقى لنا من هذا الكتاب قطعة صغيرة تمكننا من تكوين فكرة عن

الأسلوب الذى اعتمده فيه (٢١) . ويبدو أن العمل الذى نحن بصدده كان نوعًا من التوسع فى التعبير ، إذ إن المسعودى يؤكد أن سهلاً قد بوّبه على مثال العمل الذى قام بترجمته ابن المقفع (٢٢) .

لكن لا هذه العناوين ولا تلك القطع المنسوبة لسهل فى هذا الكتاب أو ذاك من كتب الأدب كافية لأن تعطينا فكرة دقيقة عن موهبته . وحتى هذه السنواتِ الأخيرة كان أطول نصّ وصل إلينا ضمن النصوص المنسوبة إلى مدير بيت الحكمة هو رسالته الشهيرة عن البخل التى وضعها الجاحظ فى بداية كتابه عن البخلاء (٢٣) . ولكن حتى لو سلمنا بصحة نسبة هذه الرسالة إليه ، وهو ما يشك فيه بعض الباحثين (٢٤) ، فإن موضوعها ، وهو موضوع خاص بعض الشىء ، لا يسمح لنا بأن نعدها ممثلة بحقّ لاهتمامات مؤلفنا والسمات المميزة لنثره .

لكل هذه الأسباب فإن اكتشاف كتاب « النمر والثعلب » ، الذى كان من حسن حظنا أن تم على أيدينا فى عام ١٩٦٤م ، هو اكتشاف ذو أهمية عظيمة لما يضيفه إلى معرفتنا بسهل بن هارون (٢٥) .

الهوامش

١- البيان والتبيين (للجاحظ) / ١ / ٦٨ ، والإمتاع والمؤانسة (للتوحيدى) / ١ / ٥٨ ، ورسالة الهناء (للمعرى) / ٧٣ - ٧٥ ، والذخيرة (لابن بسام) / ٢٠٢ ، ٢٠٨ .

٢- من أجل معرفة حياة سهل بن هارون ينظر : A. Yājī , Sahl B. Hārūn, éditions de fragments avec traduction précédée d'une introduction sur cet auteur et son oeuvre (Thèse d' Université , 1956) , Bibliothèque de la Faculté de Lettres de Paris ; Encyclopédie de L' Islam , IV , 64 - 65 (art. de J. H. Kramers) ، والفهرست (لابن النديم) / ١٨٠ ، وياقوت الحموى / إرشاد الأديب / ١١ / ١٦٦ - ٢٦٧ ، والصفدى / الوافى بالوفيات / ١٤ ، وابن شاكر الكتبى / فوات الوفيات / ١ / ٣٦٨ ، وابن نباتة / سرح العيون / ١٥٢ .

٣- أمراء البيان / ١ / ١٥٩ - ١٦٠ .

٤- العقد الفريد / ٥ / ٥٨ وما بعدها ، والإمامة والسياسة / ٢١٤ - ٢٢٢ (وقد نُقِل النص فى هذين المرجعين عن الجاحظ) ، وابن البدرون / شرح قصيدة ابن عبدون / ٢٣٨ .

٥- انظر D. Saurdel , Le Vizirat Abbasside de 749 a 936 , I , 143 وتجد عبارة سهل فى ابن البدرون / ٢٣٨ .

٦- العقد الفريد / ٢ / ١٣٦ ، والحصرى / زهر الآداب / ٢ / ٥٥٢ .

٧- العقد الفريد / ٥ / ٦١ . ويبدو أن القلقشندى يعده ضمن وزراء بنى العباس ، وذلك فى قوله : « كان ممن اشتهر من وزرائهم بالبلاغة حتى صار يُضرب به المثل يحيى بن خالد وزير الرشيد ، والحسن بن سهل ، وعمرو بن مسعدة كاتب المأمون ، وابن المقفع مترجم كليلة ودمنة ، وسهل بن هارون ... و [illegible]

أبو الفضل بن العميد » . ولكن يبدو أن الأمر هنا لا يخرج عن أن يكون تعميما ، إذ إن هذه القائمة تضم اسم ابن المقفع ، الذى من المعروف أنه لم يكن وزيراً فى يوم من الأيام . انظر « صبح الأعشى » / ١ / ٩٣ . ويرى ابن شُهَيْد ، فيما يبدو ، أنه قد قام بدور هام مع هارون الرشيد ، وذلك حين يدافع عنه جاعلاً منه معاونًا لهذا الخليفة ، إذ قال عنه إنه كان « يخادع للرشيد مُلْكا ، ويدبّر له حربا ، ويعانى له إطفاء جمرة فتنة » . انظر « الذخيرة » / ١ / ٢٠٨ .

٨- المرجع السابق / ١٨٤ / هامش ٥ .

٩- الفهرست / ١٨٠ ، وإرشاد الأديب / ٢٦٦ ، والصفدى / ١٤ ، واليمنى / مضاهاة أمثال كتاب كليلة ودمنة / ٧ ، وسرح العيون / ١٥٢ .

١٠- الصفدى / ١٤ .

١١- انظر على سبيل المثال « البيان والتبيين » / ٣ / ٣٠٤ ، والعقد الفريد / ٢ / ١٣٧ ، والحصرى / ٢ / ٥٦ .

١٢- انظر « إرشاد الأديب » / ١١ / ٢٦٧ . وهناك تاريخان لوفاته : ٢١٥ هـ / ٨٣٠ - ٨٣١ م (انظر Yājī / مرجع سابق) ، و ٢٤٥ هـ (انظر Pellat , Question de critique Litteraire , 112) . ويشير محقق « زهر الآداب » إلى أن سهلاً قد توفى فى ١٧٣ هـ / ٧٨٩ - ٧٩٠ م (انظر « زهر الآداب » / ١ / ١١٩ / هامش ١) .

١٣- سنناقش مسألة شعوبيته فيما بعد .

١٤- البيان والتبيين / ١ / ١٠٣ .

١٥- انظر أبو حيان التوحيدى / رسالة الصداقة والصديق / ١٢١ .

١٦- انظر على وجه الخصوص « الفهرست » / ١٨٠ ، وإرشاد الأديب / ١١ / ٢٦٧ ، والصفدى / ١٤ .

١٧- يورد الجاحظ كتابا بعنوان « كتاب الإخوان » . انظر « البيان

والتبيين » / ١ / ٥٢ . أما الصفدي فعنده « أساتوس في اتحاد الاخوان » / نفس الموضع .

١٨- لعل هذا هو نفس الكتاب الذي ذكره الصفدي بعنوان « كتاب الضرس » .

١٩- الفهرست / ١٨٠ ، ٣٤٠ . ومن ناحية أخرى فإنه مذكور بهذا الشكل الأخير عند الجاحظ في « البيان والتبيين » / ١ / ٥ . ويذكره ياقوت بعنوان « الهنبلية والمخزومي » / ١١ / ٢٦٧ .

٢٠- أو « عفراء » حسب رسم إملائي آخر . انظر « البيان والتبيين » / ١ / ٦٨ ، والفهرست / ١٨٠ ، والصفدي / ٢٤ ، وسرح العيون / ١٥٢ . ويذكره المرجع الأخير بعنوان « عفراء وثعلة » .

٢١- الحصري / ٢ / ٥٨٢ .

٢٢- مروج الذهب / ١ / ٨٠ .

٢٣- ص / ٩ - ١٦ .

٢٤- Ch. Pellat , Le Livre des avares ، والحاجري / البخلاء / ٢٦٨ .

٢٥- انظر حوليات الجامعة التونسية / ١ / ١٩٦٤ م / ١٩ - ٤٠ .

كتاب النمر والثعلب
بقلم عبد القادر المهيرى
(ترجمة إبراهيم عوض)

هناك اتفاق فى الواقع بينَ الباحثين على نسبة عمل بهذا العنوان إلى سهل بن هارون . وإذا كان الجاحظ لم يذكره ضمن الأعمال الأربعة التى نسبها إليه (١) ، فليس هناك أى سبب للشك فى ما قاله فى هذا الشأن ابن النديم (٢) ، وابن شرف (٣) ، وياقوت (٤) ، واليمنى (٥) ، والصفدى (٦) . وإن شهرة سهل بوصفه قصاصًا يجعل من الحيوانات أبطالاً لحكاياته لَتُشَكِّل ، إذا دعت الضرورة ، ضمانا إضافيا . ويفترض البعض أن الأمر لا يخرج عن كونه جزءًا من كتاب « ثعلة وعفراء » ، الذى يقول المسعودى إنه كان مقسّما إلى أبواب ، بالضبط على نمط « كليلة ودمنة » (٧). بيد أننا لا نعرف السبب الذى حدا بكل الذين ذكروه أن يتحدثوا عنه ككتاب مستقل . وفى رأينا أنه لا يوجد أى سبب يجعلنا نتوقف أمام مثل هذا الافتراض ، لاسيما أن المؤلف قد قدم كتابه بطريقة توحى بأنه قصة مستقلة .

ولكن فى أى فترة ألف سهل هذا الكتاب ؟ ليس من السهل تحديد تاريخ لتأليفه ، وبخاصة إذا عرفنا الصعوبات الكأداء التى يُثيرها ما كُتب فى ترجمة المؤلف . بيد أنه مما لا يخلو من الفائدة

أن نحاول حل المشكلة ، حتى لو لم نكن متأكدين من الوصول إلى حلَ مرضٍ . وإذا كان لنا أن نقبل تأكيدات ابن نباتة فقد كان ذلك بعد أن عُيّن سهل مديرًا لبيت الحكمة واطلع على الأعمال الموجودة فيه فاتخذ من بعضها نماذج ينسج على غرارها أعمالا مثل كتاب « عفراء وثعلة » (٨) . وهذا القول يجرى ، من حيث الترتيب التاريخى ، فى نفس الاتجاه التى يجرى فيه ما قاله المسعودى من أن هذا العمل قد تم تأليفه من أجل الخليفة المأمون (٩) . إن فكرة كتابة قصص أبطالُها من الحيوانات قد خطرت على بال مدير بيت الحكمة فى عهد ذلك الخليفة . بيد أنه لم تكن بسهل حاجة إلى الانتظار كل هذا الوقت الطويل لكى يعرف هذا الفن الأدبى . إن ترجمة ابن المقفع لـ « كليلة ودمنة » كانت معروفة قبل ذلك بوقت طويل ، ولابد أن مؤلفنا قد عرفها أثناء إقامته فى البصرة . وفى رأينا أن سهل بن هارون قد وضع « النمر والثعلب » قبل نكبة البرامكة فى عام ١٨٧هـ / ٨٠٢ - ٨٠٣ م . ونحن فى الواقع نعرف أن يحيى البرمكى كان يقدّر تقديرا كبيرا كتاب « كليلة ودمنة » . وقد كان بناءً على طلبه أن نَظَم أبان بن عبد الحميد اللاحقى هذا العمل شعرا . وليس من المستبعد أن يكون سهل قد ألف هذا العمل الذى نحن بصدده من أجل وزير هارون الرشيد أو من أجل أحد

أعضاء أسرته .

وبلا ريب فإننا إذا اعتبرنا أن الحيوانات في هذه القصة ترمز إلى شخصيات تاريخية وأن مصير الثعلب مثلاً هو مصير سهل نفسه ، الذي لم تُمَسّ حياته بأذى عندما نُكِب البرامكة (١٠) ، فإن علينا عندئذ أن نسلّم بأن هذه القصة لا يمكن أن تكون قد أُلّفت قبل عام ١٨٧ هـ .

ومع ذلك فليس في هذا ما يعضد ما قاله ابن نباتة ، لأن من الممكن أن يكون المؤلف قد كتب قصته لهارون الرشيد بغية تقوية مكانته لديه (١١) . وبدون تقديم جواب أكيد على السؤال المطروح فإننا نعتقد أن كتاب « النمر والثعلب » يمكن أن يكون قد أُلّف على آخر تقدير قبل عام ١٩٣هـ / ٨٠٨ - ٨٠٩ م ، وهو العام الذي مات فيه هارون الرشيد . وهو افتراض صحيح ، ولاسيما أنه يبدو لنا أن الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه هذا العمل يتناسب مع عصر البرامكة أكثر من تناسبه مع عصر المأمون ، الذي كان يتميز بالعقلانية الاعتزالية أكثر .

ولكن قبل أن نذهب أبعد من ذلك يحسن بنا أن نثبت صحة نسبة العمل الذي اكتُشِف في تونس . ونحن نرى أن هذه النسبة لا يعتورها أي شك ، رغم عدم وجود مخطوطات أخرى ورغم جهلنا

بفن سهل بن هارون الكتابى . وفى الواقع هناك أربع قطع منه قد حفظها الزمن لنا (١٢) . وإذا كان الكتّاب الذين أوردوها فى مؤلفاتهم لم يحددوا العمل الذى أُخذت هذه القطع منه ، فإن كونها موجودة فى المخطوط الذى نتحدث عنه يشكل دليلا هاما .

وبالإضافة إلى ذلك ، فإن هذا العمل يتضمن ، كما سوف نرى ، الرسائل المتبادلة بين النمر والذئب ، وهى الرسائل التى يشير إليها ابن شرف بقوله : « وقد نحا هذا النحوَ سهلٌ بن هارون الكاتبُ فى تأليفه كتاب « النمر والثعلب » . وهو مشهور الحكايات ، بديع المراسلات ، مليح المكاتبات » (١٣) .

وأخيرا ، فإن اليمنى فى كتاب « مضاهاة أمثال كتاب كليلة ودمنة » يذكر أن سهل بن هارون قد ضمّن كتابه عددا من الأمثال العربية على لسان النمر والثعلب والذئب ، مشيرًا بهذا إلى أهم ثلاث شخصيات فى القصة التى يتضمنها مخطوطنا (١٤) .

كلّ هذه الدلائل تتضافر على السماح لنا بأن نؤكد أننا بإزاء كتاب « النمر والثعلب » لمدير بيت الحكمة .

والآن ما هو الموضوع الذى يتناوله هذا العمل ؟ هناك فى إحدى الجزر تعيش الحيوانات تحت إمرة نمر غيور على سلطانه ويجمع الأموال كلها فى يديه . ثم يلقى البحر بثعلب أزعجه السيل

عن بلاده على شواطىء الجزيرة . ويقابله ذئب قد برّح به الجوع فيطلعه على مجرى الأمور هناك . وبناءً على نصيحته يلتمس من النمر أن يعينه حاكمًا على أحد الأقاليم فى مقابل إتاوة من المال ، ويحصل فعلا على المنصب . وما إن يستتب له الأمر فى إقطاعيته حتى ينسى اتفاقه مع النمر ويأخذ فى التصرف كحاكم مطلق . ويحاول الملك أن يعيده إلى طاعته ، وتدور بينهما المراسلات . وتنتهى ردود الوالى ، التى كان طابعها فى البداية الخضوع والتواضع ، بإعلان التمرد . ويوجه إليه النمر عندئذ بحملات تأديبية ويتمكن من قتله . أمّا الثعلب ، الذى كان مستشارًا لذلك المتمرد ، فإنه لا يصيبه ما أصاب سيده ، إذ استعان بحضور ذهنه فنجا من الهلاك . وقد نجح فى كسب قلب الملك إثر مناقشةٍ حول بعض الموضوعات ذات الطابع الأخلاقى .

وهذا العمل عبارة عن نوع من قصة الحيوان مرتبط بذلك الجنس الأدبى الذى عرّفته ترجمة « كليلة ودمنة » للعرب وأعادته إلى الضوء من أجل جمهورٍ متعرّب أو فى سبيله إلى التعرب . وقد كان سهل بن هارون متأثرا فى ذلك بلا مراءٍ بالعمل الذى ترجمه سَلَفُه . وهو لم يستعر منه الجنس الأدبى والموضوعات والهدف فحسب ، بل أيضا فقراتٍ بتمامها فى بعض الأحيان (١٥) . كتاب

« النمر والثعلب » إذن ، مثلَ الأبواب المختلفة لـ « كليلة ودمنة » ، هو نوع من القصص التى تقوم الحيوانات فيها بدور الشخصيات . والعقدة فيها ، وهى بسيطة جدا إن لم تقل : مفرطة فى البساطة ، تهدف إلى وضع هذه الشخصيات فى مواقف من شأنها أن تمكنها من التعبير عن عددٍ من الأفكار العامة المتعلقة بالهموم البشرية . وعلى هذا النحو يعالج المؤلف بشىء من الاستفاضة موضوعات الصداقة ، والنساء ، والموت ، وطرائق كسب العيش ، والمال ، والسلطة ، والجحود ، والغدر ، والحرب ، والذكاء ، والعلم ، والحصافة ، والغباء ، وبوجه عام كل لون من ألوان الفضائل والرذائل . وهذه الموضوعات هى نفسها ما نجده لا فى « كليلة ودمنة » وحده بل فى « الأدب الصغير » و « الأدب الكبير » أيضا . وهذا يبين لنا إلى أى مدى يدين سهل بن هارون لابن المقفع .

إلا أنه لابد من الإشارة إلى أن سهلاً لم يقصد أو ينجح فى تقليد نموذجه تقليداً أعمى ، إذ إن هناك من الفوارق ما يشير إلى أن ذلك الجنس قد دخله نوع من التطور . وأول ما يجذب انتباهنا من هذه الفروق بساطة التخطيط . وعلى العكس من تخطيط حكاية كحكاية الأسد والثور نجد أن تخطيط كتاب « النمر والثعلب » يتميز ، إن صح القول ، ببنائه الخطى (Linéraire) . إن شخصيات

هذا الكتاب تكتفى فى حوارها بالتعبير عن أفكارها على نحو مجرّد . ولم يحدث ولا مرة واحدة أن صوّرت هذه الأفكار من خلال حكايات قصيرة مثل تلك التى تقطع سلسلة الحوار فى « كليلة ودمنة » فى كثير من الأحيان . وإذا كانت نتيجة ذلك أن تحققت لقصة « النمر والثعلب » وحدة أكثر متانةً فإنها فى المقابل تفتقر إلى الغنى الذى تتميز به حكايات ابن المقفع .

وفوق ذلك ، فإن تخطيط كتاب « النمر والثلعب » يفتقر إلى التوازن . إن العقدة تتحلّ تمامًا فى النصف الأول من العمل ، فاكتساح السيل للثعلب ، ووصوله إلى ساحل جزيرة مهجورة فى الظاهر ، ولقاؤه للذئب ، وتحقق الخطة التى رسمها الاثنان لتمكين هذا الأخير من الحصول من النمر الملك على حكم إحدى الولايات ، وخيانة « الوالى » الجديد ، والحروب المختلفة التى شنها عليه النمر بغية معاقبته ، كل أولئك يشكّل موضوع النصف الأول من الكتاب وينتهى بموت الذئب . أما النصف الثانى فليس إلا حوارًا طويلاً هو عبارة عن امتحان عقده الملك ووزراؤه للثعلب كى يتأكدوا من حضور بديهته ويتبينوا مدى استحقاقه لرحمة الملك وإنعامه . ويأتى قرار هذا العاهل بإكرام الثعلب وفتح أبوابه له ليذكّرنا فى آخر الكتاب ببداية القصة . ولكن عندما يحدث هذا يكون القارىء قد نسى تقريبًا أنه

أمام حكاية أو قصةٍ ذات عقدة . لقد عمل المؤلف بوضوح على أن يورد فى هذا النصف الثانى من الكتاب أكبر ما يمكنه من الحِكَم والتوجيهات التى يجب على « الرجل الشريف » مراعاتها فى سلوكه . إن جميع الأفكار التى لم يمكن تضمينها الجزء الأول من الكتاب ، لأن تطور الحدث لم يسمح لها بذلك ، قد أمكن تضمينها هنا . إن الأسئلة التى وُجّهت إلى الثعلب تغطى فى الواقع موضوعات شديدة التباين ، وواضع الأسئلة لا يشعر بأن عليه أن يلتزم بفكرة رئيسية لا يحيد عنها ، بل شُغْله الشاغل هو حشد أكبر عدد من الأسئلة التى تكشف مدى حضور البديهة عند الثعلب . وإذا كانت الأفكار الواردة فى الحوار بين الثعلب والذئب تشبه بعض فقرات « كليلة ودمنة » أو الأقوال المعزوة فى كتب الأدب إلى حكماء الهند والفرس وفلاسفتهم ، فإن الأفكار الأخرى التى تضمنتها إجابات الثعلب على أسئلة الملك ووزرائه الثلاثة تعكس ، فى كثير من الحالات ، الموضوعات التى كانت محل بحث فى الدوائر الكثيرة المتكونة بوجه عام من المثقفين المتجمعين حول إحدى الشخصيات الهامة أو أحد العلماء ذوى الشهرة . وهكذا طُرِق عدد من المسائل ذات الصبغة الفلسفية ، مثل تلك المتعلقة بمعرفة ما إذا كان العقل فطريا فى الانسان أم شيئًا طارئًا ، وما إذا كانت اللغة تستطيع

التعبير عن الأفكار على نحو نسبي أم مطلق ، وما إذا كان الانسان مسؤولاً حقا عما يختاره من تصرفات . وهنا يجدر بنا أن نشير إلى نص في الكتاب يحاول فيه المؤلف ، وهو بسبيل استعراض الفضائل المختلفة ، أن يبين الحدود التي يجب أن يتوقف عندها الإنسان كي يتجنب الإفراط ، محددا بذلك أحد أخلاق التوسط والاعتدال (١٦) .

وفي الكتاب أفكار أخرى تذكّرنا بضوابط السلوك والحِكَم التي نسمعها من أفواه المتصوفة الذين كانوا يسكنون مدينة البصرة بأعداد وفيرة (١٧) . وهذه الأفكار تدور حول احتقار الحياة الدنيا والمال ، وخشية الله ، والموت ، والرضا بالقضاء والقدر .

وهذا كله دليل على أن كتاب « النمر والثعلب » إذا كان مدينا إلى حد كبير لكتاب « كليلة ودمنة » فإنه لا يقل عنه تعبيرا عن الهموم الأخلاقية والفكرية التي كانت شاغل الناس في عصر سهل بن هارون . إن الجنس الأدبي الذي انتشر بفضل ترجمة ابن المقفع قد اتّسم في كتاب سهل بن هارون بطابع المجتمع العربي الإسلامي في ذلك العصر . لقد تضمن هذا الكتاب في الواقع كثيرا من عناصر الثقافة العربية ، إذ ما أكثر ما تُرَدّد شخصيات القصة عبارات مقتبسة من القرآن الكريم ، كما أنها بالإضافة إلى ذلك لا

تترّدد عن الاستشهاد ببيت أو أكثر من الشعر لعرض فكرة أو لتقرير نصيحة . أما الأمثال التى تضربها فإنها تعد بالعشرات .

ومن ناحية أخرى فإن المؤلف ، الذى ربما شغل لدى هارون الرشيد والبرامكة وظيفة الكتابة الديوانية ، قد ذكر فى الجزء الأول من كتابه المصادر الخاصة بفن كتابة الرسائل . وتلك فيما نعرف هى المرة الأولى التى يوضع فيها هذا الفن فى خدمة جنس أدبى آخر فى تاريخ الأدب العربى . وفوق ذلك فكونه سمح للملك والوالى الجديد بتبادل وجهات النظر والمضى من ثم إلى العمل قد هيّأ جوًّا ملائمًا للوعد والوعيد ، والمداهنة والوقاحة فى الردّ .

وهو بهذا يسمح للقارىء ، بأفضل وسيلة ممكنة ، بمتابعة تطور العلاقات بين هاتين الشخصيتين . وإن الرسائل الثمانى التى تتضمنها القصة تمثل ، مع العقدة ، العناصر التى يمكن أن نعدّها أكثر شىء أصالة فى هذا العمل . وفى هذه المراسلات فإن شخصية الكاتب الديوانى تظهر ، أفضل مما تظهر فى أى موضع آخر من القصة ، بميلها إلى لون من الكتابة النثرية تكثر فيه الفواصل ، وتغزر فيه الصور ، ويبرز فيه السعى وراء تحقيق إيقاع ما .

وفيما يخص العقدة فإننا نتساءل : إلى أى مدًى استوحى المؤلف أحداثًا تاريخية بعينها ؟ إنه لا يشير أية إشارة من شأنها أن

تساعدنا فى الاجابة على هذا السؤال إجابةً أكيدة . لكن مما لاشك فيه أيضا ، فيما يبدو ، أن إدراج الأحداث السياسية فى الكتاب لم يكن هو الغرض الرئيسى للمؤلف . بيد أن الانسان لا يستطيع أن يتمالك نفسه من عقد المقارنات بين شخصية الذئب وشخصيات بعض الولاة فى العصر العباسى الذين ثاروا على السلطة المركزية للدولة (١٨) .

كذك لا يستطيع الانسان أن يتمالك نفسه ، وهو يقرأ بعض الفقرات من كتاب « النمر والثعلب » ، من تذكر الباب المخصص فى « العقد الفريد » للمشاورة التى أجراها الخليفة المهدى (ت ١٦٩ هـ / ٧٨٥ م) لتحديد الموقف الذى ينبغى اتخاذه بالنسبة لثورة أهل خراسان (١٩) . إن المشابهة جدّ قوية بين الطريقة التى تصرّف بها الخليفة بحضور مستشاريه وطريقة النمر الملك حينما شاور وزراءه فيما ينبغى اتخاذه من موقف تجاه الذئب والثعلب . وفى كلتا الحالتين فإن الآراء التى عُرِضت على الملك تعبّر عن مواقف متباينة : فالبعض يشيرون بالملاينة ويحذّرون الملك من مغبة التشدد . والبعض يحاولون أن يبينوا للملك مزايا أخذ عدوه بالحيلة . وبعض ثالث يحثونه على الحرب ، وحجتهم أنه لو لم يئد الفتنة بقوة السلاح لظَنّ ذلك علامةً من علامات الضعف .

من الممكن إذن أن نرى أن بعض الأحداث التاريخية قد ساعدت سهل بن هارون على تخيُّل الخطوط العامة للحدث التى جعله أساسًا لقصته .

لكننا لا نهدف من وراء هذا إلى القول بأن الحيوانات فى القصة تمثل هذه الشخصية التاريخية أو تلك . على العكس من ذلك تمامًا ، مثلما هو الحال فى « كليلة ودمنة » ، فإنه ليس هناك إلاَّ نماذج إنسانية : فالذنب يرمز إلى الجحود والغدر . إنه نموذج الإنسان الذى يفتقر إلى المبادرة ويعيش حياة بائسة مغمورة ، ولكن إذا ساعدته المصادفة على التخلص مما هو فيه من شقاء فما أسرع ما يتناسى ظروفه السابقة معتقدا أنه يدين بوضعه الجديد لما يتمتع به من مزايا فحسب . وعلى هذا فهو بمبالغته فى تقدير قوته وتصلّبه فى تجاوزاته يندفع فى تحدى من هم أشدّ منه قوة .

ويرمز الثعلب إلى الإنسان الذكى المثقف الواسع الحيلة ، فهو ينجح فى التخلص من أشد المآزق حرجًا . وهو بفضل واقعيته وأمانته نافع لمن يطلب إليه المشورة . إنه لا يبغى شيئًا سوى إسداء خدماته ، لكنه لا يتردد عن أن يحذّر مُحَاوِرَه من الأخطاء التى يعرّض نفسه لها وأن يحاول تبصيره بحدود قدراته . إن الثعلب ، باختصار ، يجمع فى نفسه صفات الشخصيتين اللتين يرمز إليهما

كليلة ودمنة فى الكتاب الذى ترجمه ابن المقفع . وقد أخذ من الأول الذكاء وروح المبادرة دون الخداع ، وأخذ من الثانى الأمانة والإخلاص دون السلبية . وهو بلاشك أهم شخصيات القصة ، إذ إنه يتكلم أكثر مما يتكلم الآخرون ، كما تتمثل فيه الحصافة والمنطق السليم .

ويمثل النَّمِرُ السلطة . إنه نموذج الملك المتأنى الواعى بواجباته والذى يميل إلى حسن الظن والثقة برعاياه الذين يبدو عليهم الإخلاص ، ولكنه لا يتردد فى أن يوقع عقابه بمن يخونون هذه الثقة . وهو يرمز إلى الملك الذى لا يهمل آراء مستشاريه ولا يُقْدِم على عمل إلا بعد أن يصغى إلى ما عندهم من أفكار . إن السلطة هنا معروضة فى أحسن أوضاعها .

أما شخصيات القصة الأخرى فأدوارها لايؤبه لها . وإذا كانت زوجة الثعلب وصديقه والقائدان اللذان هزمهما الذئب قد ظهروا فى القصة فى ثياب حيوانات ، فإن الوزراء الثلاثة هم على نحوٍ ما مجهَّلون . وقد ميّزهم المؤلف بإطلاق أرقام عليهم عندما جاء دورهم فى الكلام . ومع ذلك فلا شىء يساعد على التمييز بينهم حتى ولا الأرقام التى أطلقها المؤلف عليهم ، إذ لم يكن الرقم الواحد فيما يبدو يُطْلَق دائمًا على الوزير نفسه .

خلاصة القول إن المؤلف لا يبدى أى اهتمام خاص بشخصياته ، إذ ما من ملمح لافت للنظر أو وصف دقيق يشي بأن عنده فضولا خاصا نحو عالم الحيوان . وعلى عكس ما فى « كليلة ودمنة » ، حيث توحى بعض الألفاظ أو التعبيرات من وقت لآخر بذلك العالم ، فإنه لا شيء تقريبا فى العمل الذى نحن بصدده يساعد على خلق أى جوّ خاص بالمملكة الحيوانية . ومن هنا فليس سهل بن هارون بالمؤلف الذى يمكّننا من أن نقول إن عندنا فى الأدب العربى أديبًا يشبه لافونتيين ، فاهتمامه فى القصة يتركز فقط فى الملاحظات ذات الصيغة الأخلاقية والأمثال والحِكَم . ولم يخطىء ذلك المؤلف الذى وضع كتابا عن أمثال « كليلة ودمنة » عندما قال عن سهل بن هارون : « وقد سلك سبيلَه (أى سبيل ابن المقفع) سهلُ بن هارون بن راهبون صاحب خزانة حكمة المأمون فيما حكاه من أمثال العرب على لسان النمر والثعلب والذئب فى كتابه المترجم بالنمر والثعلب وكتابه المترجم بثعلة وعفرة » (٢٠) .

باختصار فإن كتاب « النمر والثعلب » هو عبارة عن مركّب يجمع بين الجنس الأدبى الذى يمثله « كليلة ودمنة » ، والأمثال والحكم العربية ، وفن الرسائل الذى أصبح له مكان فى الأدب منذ رسائل عبد الحميد الكاتب . ويؤكد لنا سهل بن هارون بهذه

الطريقة الانتقال بين « الأدب الساساني » كما يتمثل في كتابات ابن المقفع ، و « الأدب العربي الاسلامي » كما يتمثل في أعمال الجاحظ (٢١) . ولعله لهذا السبب لم تلق كتاباتُه الانتشار الذي لقيته أعمال هذين الكاتبين ، حيث لم تستفد من الظروف المواتية التي كفلت الخلود لأهم آثارهما . وإذا كان بعض الباحثين يرون في سهل مقلّدا ساذجًا لابن المقفع ، فإنه في نظر الآخرين يفتقر إلى موهبة الجاحظ .

قال ابن شُهَيْد : « ذُكر يوما عند أبي القاسم سهلُ بن هارون والجاحظ فضَرب فيهما مثل العامة : « بينهما ما بين الملائكة وصبيان الحرَس » . هذا من الإنحاء العظيم على سهل . والأَوْلى أن يُسَمَّيَا محسنَيْن ، إلا أن سهلا كاتب سلاطين ، والجاحظ مؤلف دواوين . وقد يؤدي النظر إلى أنهما في طريقتين مختلفتين . وكلاهما محسن في بابه » (٢٢) .

أيا ما يكن الأمر فمن المبالغة تجاهل الدور الذي قام به سهل ابن هارون في تطور النثر الأدبي . وإذا كان شهرة الجاحظ قد كسفت شمسه ، فإن أبا عثمان قد عرف لسلفه مكانته التي يستحقها (٢٣) . ولكن لا ينبغي الحكم على أسلوب سهل بن هارون كما يتمثل في كتاب « النمر والثعلب » دون اتخاذ بعض

الاحتياطات ، إذ ينبغى فى الواقع أن تستبعد منه كل ما هو مأخوذ من الآخرين . وهذا ينطبق على بعض الفقرات التى تُعْتَبَر سرقة بسيطة من « كليلة ودمنة » ، كما ينطبق أيضاً على تلك الجمل التى يعج بها الجزء الثانى من القصة والتى تشكّل ، إن صح القول ، إجابات محكمة على أسئلة لم يحسن المؤلف دائمًا الملاءمة بينها وبين هذه الإجابات . فإذا راعينا هذه التحفظات فإنه يتبقى معنا صفحات تكفى لاعطائنا فكرة عن أسلوب سهل بن هارون فى العمل الذى بين أيدينا .

ولا تطّرد سمات أسلوب المؤلف على مدى القصة كلها ، بل يتغير حسب الموضوع المعالَج : فهو فى السرد أسلوب بسيط ، تركيب الجملة فيه عادى ، ومفرداته من النوع الشائع . إننا هنا بإزاء البساطة نفسها التى تطبع لغة ابن المقفع فى كل حكايات « كليلة ودمنة » تقريبا .

أما فى غير الفقرات السردية التى لا تشغل فى الواقع إلا مكانًا ضيّقًا فإن العبارة تصبح أكثر تعقيدًا وإحكامًا ، وتزداد طولاً ، وتمتلىء بالجمل الاعتراضية ، وتكتسب فى كثير من الأحيان الاتساع الذى تتميز به الجملة الدورية الحقيقية . كذلك ففى الفقرات التى يجيب فيها الثعلبُ الوزراءَ الثلاثة نرى الجمل

تتعقد وتترابط إلى الدرجة التى تعكس معها ، إن جاز القول ، الموضوعاتِ العقلانية التى يراد منها توصيلها . وهى حينئذ تذكرنا بالتراكيب التى نجدها عند الجاحظ لدى عرضه لفكرة ما أو دفاعه عن رأى من الآراء . ولكن ربما كانت خصائص أسلوب سهل بن هارون متمثلة فى أدقّ صورة لها فى الرسائل التى تبادلها النمر والذئب . ففى هذه الرسائل سَعْىٌ واضح وراء الدقة فى التعبير . وفى الوسائل التى يلجأ إليها المؤلف تنوع كبير : فهو يستعمل الجملة الدورية ، وبالذات فى بداية كل رسالة وخاتمتها ، فى التعبير غالبًا عن اللوم أوالتهديد بنبرةٍ تذكرنا عادةً بالنبرة الخطابية . كذلك تتراكم عنده التعبيرات أو الجمل القصيرة للتعبير عن نفس الفكرة ، وهو ما ينتهى بجعل التكرار وسيلة أسلوبية حقيقية . ويتم إحداث الأثر هنا ، بالاضافة إلى ذلك ، باستعمال السجع أو حيل الجناس . وهناك أيضا اختيار المفردات الفنية التى تعبّر عن رغبة ملموسة فى تجنب اللفظة الشائعة واللجوء إلى اللفظة المؤثرة . ثم عندنا أخيرًا الاستعارات التى تكثر فى هذه الرسائل ، والتى تسمح بالتعبير ، من خلال الصور المحسوسة ، عن معانٍ مثل الكرم وعرفان الجميل والغرور والتهوُّر ... إلخ . باختصار ، نحن هنا أمام جميع عناصر النثر الفنى الذى نستطيع أن نعدّ سهل بن هارون واحدًا من أهم منشئيه .

وهكذا حاول سهل بن هارون ، متأثرا بذلك التراث الذى خلّفه ابن المقفع وراءه ، أن يؤقلم هذا الجنس الأدبى مع الأوضاع الثقافية للمجتمع العربى الإسلامى . وإن المعطيات الخاصة بحكايات الحيوان التى ، كما يقول بوالو ، « تقدم للعقل مئات المتع المختلفة » قد أخذت تنكمش عنده باطراد لحساب القواعد السلوكية والمبادىء الخلقية والحِكَم الوعظية . وفوق ذلك فالحكاية الحيوانية ، بدلاً من أن تظل قصة رمزية تتحدث عن القواعد الأخلاقية ، قد أضحت فى الغالب إطاراً يتوسل به المؤلف إلى عرض معارفه علينا وإثبات براعته فى ميدان فن الكتابة . لقد اختفت فجأةً الخصائص الأصيلة لذلك الفن الأدبى ، إن جاز لنا القول . وبتقليد سهل لـ « كليلة ودمنة » فإنه لم ينجح فى تطويع هذا الفن على نحو يكتب له الحياة . ولا يستطيع الباحث أن يذكر الأعمال ذات الصبغة التعليمية التى ألفها فيما بعد كُتّاب مثل ابن الهبّارية وابن ظَفَر (٢٤) لإثبات نجاح الحكاية الحيوانية فى الأدب العربى . ولكن هل الحكاية الحيوانية فى الواقع هى ذلك الجنس الأدبى الذى يمكن لكاتب عبقرى تجديده بسهولة أو تحويله بيسر من الاتجاه الذى سبق أن سار فيه ؟

الهوامش

١- البيان والتبيين / ١ / ٥٢ .

٢- ص / ١٨٠ .

٣- مسائل الانتقاد / ٤ .

٤- إرشاد الأديب / ١١ / ٢٦٧ .

٥- مضاهاة / ٣ / ٧ - ٨ .

٦- الوافي بالوفيات / ١٤ / ٢ .

٧- مروج الذهب / ١ / ٨٠ .

٨- سرح العيون / ١٥٢ .

٩- مروج الذهب / ١ / ٨٠ .

١٠- الصولى / الأوراق / ١ - ٢ . بل لقد كان من الممكن أيضا أن يُجْبِر أبانًا على عدم مغادرة بيته قبل أن يتم هذا العمل .

١١- العقد الفريد / ٥ / ٥٨ وما بعدها .

١٢- أورد القطعة الأولى ابن المعتز (كتاب البديع / ٤٥ - ٤٦) والعسكرى (كتاب الصناعتين / ٣١٠) . وأورد الثلاث الأخرى كرد على (أمراء البيان / ١ / ١٧٩ - ١٨٠) . ولم يذكر كرد على المصادر التى نقل عنها هذه النصوص . ونحن رغم البحث الطويل لم نستطع للأسف أن نحدد هذه المصادر . ومع هذا فكونها منسوبة لسهل هو فى ذاته احتياط كاف .

١٣- مسائل الانتقاد / ترجمة شارل بيلا / ٤ . ونحن نسمح لأنفسنا مع ذلك أن نستبدل بكلمة « tigre » كلمة « panthère » .

١٤- ص / ٧ - ٨ .

١٥- نصصنا على أهم هذه الفقرات فى تحقيقنا للنص العربى لهذا العمل .

١٦- ص / ٦٨ - ٦٩ .

17- Ch. Pellat , Le milieu basrien et La formation de Jāḥiẓ , p. 93 et suiv .

١٨- انظر مثلا « مروج الذهب » / ٣ / ٣٠٢ .

١٩- العقد الفريد / ١ / ١٩١ - ٢١٢ .

٢٠- أبو عبد الله محمد بن الحسين اليمني / كتاب مضاهاة أمثال كليلة ودمنة بما أشبهها من أشعار العرب / ٧ - ٨ .

٢١- عن تطور الأدب انظر Ch. Pellat , La prose Arabe à Bagdad , في مجلة « Arabica » (عدد خاص بمناسبة العيد الألف والمائتين لإنشاء بغداد) / ٤٠٧ - ٤١١ .

٢٢- الذخيرة / ١ / ٢٠٨ .

23- R. Blachère , Moments tournants dans La littérature arabe , Studia Islamica , XXIV , p. 8 .

٢٤- انظر مادة « Ḥayawān » في « L' Encyclopédie de L' Islam » / الطبعة الجديدة / ٣ / ٣٦٨ - ٣٦٩ .

سهل بن هارون وتهمة الشعوبية والزندقة والرسالة المنسوبة إليه فى البخل

بقلم إبراهيم عوض

تكاد لا تخلو أية ترجمة لسهل بن هارون فى القديم أو فى الحديث من ترديد اتهامه بالشعوبية ، بل لقد جعله بعض من كتبوا عنه من غلاة الشعوبيين (١) . ويتساءل الباحث : ما تلك المواقف التى ظهر فيها تحامل سهل على العرب وتحقيره من شأنهم ؟ أو أين الكتب والرسائل التى وضعها للنيل منهم ؟ لكنه لا يجد فى أخباره أو مؤلفاته شيئا من هذا أو ذاك . يقول ابن النديم إنه كان « شعوبى المذهب ، شديد العصبية على العرب . وله فى ذلك كتب كثيرة » (٢) . وهو كلام مطلق ، إذ إنه لم يشفعه بالنصّ على تلك الكتب . بل إن عناوين المؤلفات التى ذكرها لسهل بعد ذلك ، وهى « كتاب ديوان الرسائل » و « كتاب ثعلة وعفراء » و « كتاب إلى عيسى بن أبان فى القضاء » و « كتاب تدبير الملك والسياسة » ، لا يمكن أن يُشْتَمّ منها ولو بالتمحّل الشديد ما ينم على هذه الشعوبية المنسوبة إليه . ومع هذا يأتى جولدزيهر فيردّد كلام ابن النديم على علاّته بل يزيد فيجعل سهلاً أشهر شعوبيى زمانه ، قائلا : « إنه ألف كتبا كثيرة تعصب فيها للفرس على العرب ، فكان بذلك أشهر شعوبيى زمانه » (٣) . أما محمد حامد الناصر فإنه لا

يكتفى بذلك بل يحدد تاريخ وضع سهل لهذه الكتب المزعومة فيقول إنه « كان يكتب ينقد العرب وهو فى خدمة الرشيد » (٤) ، وذلك دون أن يسوق حتى اسم المصدر أو المرجع الذى نقل عنه . ويكتفى شارل بلات بالعبارة الموجزة التالية ، والكلام فيها عن الجاحظ : « واجتمع أيضا بطائفة من الرجال منهم رجلان شعوبيان مشهوران هما سهل بن هرون (المتوفى سنة ٢٤٤ هـ) ، الذى أوحى للجاحظ بعض الأبحاث فى الدفاع عن العرب ... إلخ » (٥) . أما أين اجتمع الجاحظ بسهلٍ ، ومتى ، وما هذه الأبحاث التى أوحاها له ، وكيف أوحى له بها ، فإن المستشرق الفرنسى لا يعنىَ نفسه بالجواب عن شىء من ذلك .

ويحاول جولدزيهر أن يجعل من الرسالة المنسوبة لسهل ، والتى قيل إنه كتبها لبنى عمه مدافعًا عن مذهبه فى البُخْل والاقتصاد ، مَظْهَرًا من مظاهر شعوبيته ، إذ يرى فيها هجومًا شعوبيا على فضيلة الكرم التى يتمدح بها العرب (٦) .

وقد تابع جولدزيهر فى هذه الدعوى بعضُ الباحثين العرب ، فالدكتور شوقى ضيف مثلاً يعلق على إشارة ابن النديم إلى رسائل سهل فى البخل بقوله : « وكأنه أراد بتلك الرسائل أن ينقض فضيلة الكرم العربية » (٧) . بل إنه يرى أن سهلاً لم يكتب رسالته لبنى

عمه الحقيقيين من آل راهبون ، وإنما « أغلب الظن أنه يقصد العرب » (٨) . ويؤكد د . مصطفى الشكعة « أن سهل بن هرون لم يمجد البخل إلا شعوبيةً وكراهيةً للعرب ، الذين عُرفوا بالكرم ومجّدوا الكرماء » (٩) . ويذهب محمد حامد الناصر فى نفس الاتجاه قائلاً عن الشعوبيين إنهم « تندّدوا بالمثل الخلقية والقيم الإسلامية والعادات العربية ... وسخروا من مفهوم الكرم عندهم (أى عند العرب) وبالغوا فى التشنيع على هذه الخصلة الحميدة ، حتى أن سهل بن هارون ألّف رسالة يمدح فيها البخل ويذم الكرم ويعتبره إسرافا » (١٠) . ويردّد د . عبدالله سلوم السامرائى الكلام ذاته ، وإن كان قد أضاف أن كتب سهل ورسائله التى ألفها فى تمجيد البخل والتنقص من فضيلة الكرم التى يعتز بها العرب قد فُقِدت فيما يبدو فى حومة المعركة بين العروبة والشعوبية (١١) ، فكأنه لا علم له برسالة البخل التى أوردها الجاحظ فى كتابه « البخلاء » (١٢) وابن عبد ربه فى « العقد الفريد » (١٣) وقالا إنها لسهل (١٤) .

ولا نحب أن نخوض الآن فى تحقيق نسبة هذه الرسالة وهل هى لسهل فعلاً أوْ لا (١٥) ، بل سنسلم أنها له فنقول : لو أن سهلاً لم يقصد بها بنى عمّه من آل راهبون وكان يريد العرب فى

الحقيقة أفكانت هذه ستغيب عن بال معاصريه ؟ يظهر لى أن ذلك أمر بعيد ، وإلا لذكروا هذا وردّوا عليه ، وهو ما لم يحدث . كذلك فإن الشعراء الأعاجم كانوا يثنون على فضيلة الكرم ويرفعون من شأن الكرماء من العرب أو من أبناء جلدتهم على السواء ، وذلك أمر معروف لا يحتاج إلى استشهادات عليه . وهل نحن بحاجة أن نشير إلى البرامكة وإلى عضد الدولة وإلى ابن العميد ، الذين كان المادحون يقصدونهم ويتفننون فى وصفهم بالأريحية ، والذين كانوا يسعدون بذلك ويثيبون عليه ببِدَر الذهب الفضة ؟ وسهل نفسه يمدح يحيى بن جعفر البرمكى بالكرم قائلاً :

عدوّ تلاد المال فيما ينوبه — منُوعٌ إذا ما منْعُه كان أحزما (١٦)

كما يمدح محمد بن زياد بذلك فى قوله :

وخليقتان : تُقًى وفضْلُ تحرُّم — وإهانة فى حقه للمال (١٧)

ويقول متألما على فراق الخلان ومشيداً بفضيلة الكرم :

ولكننى أبكى بعينٍ سخينةٍ — على حدث تبكى له عين أمثالى
فراق خليلٍ مثله يبعث الأسى — وخلة خِلّ لا يقوم بها مالى
فوا أسفًا ! حتى متى القلبُ مُوجَعٌ — بفقد خليل أو تعذّر إفضال ؟
فما العسر إلا أن تجود بنائل — وإلا لقاء الأخ ذى الخلق العالى (١٨)

كذلك عدّ بُخْلَ ذوى الأموال من الأمور القبيحة (١٩) ، وجعل العزة فى إتيان المكارم والتحصن بالجود والمتاجرة بالمعروف (٢٠) . كما أن الجود الحقيقى عنده هو جود من يعرف قدر المال ويخاف

الفقر (٢١) .

بل إن الرسالة نفسها مفعمة بما يناقض الشعوبية ، ففيها استشهاد بأفعال طائفة من مشاهير العرب وأقوالهم ، كالنعمان بن المنذر وعمر بن الخطاب وعمرو بن العاص وطلحة بن عبيد الله والأحنف بن قيس وزياد بن أبيه وأبى الأسود الدؤلى وهشام بن عبد الملك بن مروان ، على أنها نبراس يستضاء به . كما أن « كتاب النمر والثعلب » مملوء بأمثال العرب وحِكَمها وأشعارها فى الجاهلية والإسلام ، وليس فيه شىء من أقوال الفرس أو ذكر أحد من مشاهيرهم .

ويقول الحصرى فى هذا الموضوع : « ألف سهل بن هرون كتابا يمدح فيه البخل ويذم الجود ليظهر قدرته على البلاغة ... » (٢٢) ، أى أنه يجعل الغرض من كتابة الرسالة غرضا فنيًا لا سياسيًا .

على أن الرسالة ليست كلها بخلاً وتزينيا للحرص على المال والشحّ به ، بل فيها أيضا كثير من النصائح المفيدة فى تدبير المعاش ووضع الدرهم فى موضعه . وإن السمعة الرديئة التى لصقت بسهلٍ لهى المسؤولة عن عدم التفات القارئين لهذا الجانب الطيب فى الرسالة .

ويخطىء كريمرز (كاتب مادة « سهل بن هارون » فى « دائرة المعارف الاسلامية ») فهم ما حكاه الحصرى فى « زهر الآداب » من أن المأمون كان قد انحرف عن سهل بن هارون فدخل عليه يومًا فتكلم المأمون فى الحاضرين ، فلما فرغ من كلامه ورآهم سهلٌ سكوتا صاح فيهم : مالكم تسمعون ولا تعون ، وتشاهدون ولا تفهمون ، وتفهمون ولا تتعجبون ، وتتعجبون ولا تنصفون ؟ والله ليقول ويفعل فى اليوم القصير ما فعل بنو مروان فى الدهر الطويل . عربكم كعَجَمكم ، وعجمكم كعبيدكم ! ولكن كيف يعرف بالدواء من لا يشعر بالداء ؟ » ، فرجع المأمون فيه إلى الرأى الأول (٢٣) ، إذ قال كريمرز مشيرًا إلى هذه الحكاية إن المأمون كان فى بداية الأمر غير مبالٍ بسهل إلى أن كشف عن ميوله الشعوبية ، فعندئذ حظى برضاه (٢٤) .

إن الحصرى يقول عن سهل إنه كان مقربا إلى المأمون ، ثم وقع منه ما جعل المأمون ينحرف عنه ، ثم عاد المأمون فى النهاية إلى رأيه الأول فيه . أما كريمرز فيظن أن المأمون ، فى بداية اتصال سهل به ، كان يستقلّه ، ثم لمّا قال بعد خطبة الخليفة ما قال مما كشف به عن منزعه الشعوبى (فى رأيه) تغيرت نظرته إليه وأخذ يحتفى به . ولعل العبارة المكتوبة فى « زهر الآداب » قد أوحت لكريمرز

بشىء من هذا الذى فهمه ، إذ قد كُتِبَت على النحو التالى : « كان المأمون من استقل سهل بن هارون فدخل عليه يومًا والناس على مراتبهم ... إلخ » ، فظن كريمرز أن المأمون كان يستقل قدر سهل فى بداية الأمر . بيد أن ما قاله الحصرى فى آخر الحكاية كان كفيلاً أن ينبهه إلى أن الأمر ليس هكذا ، إذ عقّب على كلمة سهل فى الحضور قائلا : « فرجع المأمون فيه إلى الرأى الأول » ، وهو ما يدل على أن الخليفة العباسى كان على رأى طيب فى سهل فى مبدإ الأمر ، ثم حدث ما جعله ينحرف عنه . وإنى لأرجّح ترجيحا قويا أن عبارة « كان المأمون من استقلّ سهل بن هرون » الواردة فى كلام الحصرى إنما هى « كان المأمون قد استثقل سهل بن هرون » (٢٥) . فهكذا يستقيم أول الكلام مع آخره . وعبارة ابن نباتة تعضّد هذه القراءة ، إذ جاء فى « سرح العيون » : « ويُرْوَى أن المأمون كان قد انحرف عن سهل إلى أن دخل عليه يوما ... » (٢٦) .

ثم إنه ليس فى كلام سهل فى من كانوا حاضرين خطبة المأمون ما يدل على أية نزعة شعوبية . كل ما هنالك أنه أثنى على فصاحة الخليفة وقوة عزمه وطموحه وعظمة إنجازاته ، وفضّله على بنى مروان . فأين الشعوبية هنا ؟ إنه إذا كان بنو مروان عربًا فالمأمون لا

يقلّ عروبة عنهم ، بل هو فضلا عن ذلك يمت إلى العباس ومن ثمّ إلى النبى بأوثق الأسباب . والعباس والنبى من العرب فى الصميم والذروة . فكيف يكون تفضيله على بنى مروان دلالة على وجود نزعة شعوبية لدى سهل ؟ ليس هذا فحسب ، فإن بقية كلام ابن هارون يدل على عكس ذلك ، إذ قد جعل العجم فى مرتبة أدنى من العرب . قال : « عربكم كعجمكم ، وعجمكم كعبيدكم » . فانظر كيف وضع بنى قومه بين العرب من فوقهم والعبيد من تحتهم ! ومرة ثانية : أين الشعوبية هنا ؟ ثم إن كريمرز يقول إن شعوبيته الغالية هى التى قرّبت سهلا من البرامكة (٢٧) . فكيف يقول فى ذات الوقت إن المأمون كان غير مبالٍ بسهل إلى أن كشف عن ميوله الشعوبية إذا كانت شعوبية سهل معروفة منذ البرامكة على الأقلّ ، أى قبل أن يصعد المأمون على سرير الخلافة بسنوات غير قليلة ؟

ومع هذا فثمة أبيات خمسة منسوبة لسهل فى « زهر الآداب » للحصرى يتوجه فيها إلى أهل ميسان مثنيًا على أصلهم النبيل وأريحتهم ويحقّر فيها من قبيلة كلب ، الذين يقول إنهم يريدون أن يناسبوه ، ولكن أنّى لهم ذلك وهو من بيت شريف ، أما هم فبدوٌ متخلفون ؟ وهذه هى الأبيات :

يا أهل ميسان ، السلام عليـ ـكم طيبون الفرعُ والجِذمُ
أما الوجوه ففضة مُزجت ذهبا وأيدٍ سخّةٌ هضمُ

أتريــد كلــبٌ أن أناسبهــا ؟	قــد قــلّ مــن كليــبِ العلـــمُ
أجعلــت بيتــا فــوق رابيـــةٍ	فــرع النجــوم كأنــــه نجــمُ
كبيــت شعــر وســط مجهلــة	بفنائه الجعلان والبهم ؟ (٢٨)

وهى ، إن صح أنها لسهل ، ليستْ إلا ردًا على قبيلة كلب ، التى يبدو أن بعضا من أفرادها قد فاخروه وشمخوا بأنفهم عليه لأنه مولى وهم عرب ، فهى من ثم مجرد دفاع عن النفس مشروع وليست شعوبية وتعاليًا على العرب كجنس . وأحب أن أزيد أنه ليس لسهل فى هذا الموضوع إلا تلك الأبيات . كما أنها لم تقابلنى ، فيما أذكر ، إلا عند الحصرى ، وهو متأخر نسبيا .

ولو كان سهل شعوبيًا يكره العرب ويحطّ من قدرهم ما وصفه الجاحظ ، وهو الذى أصلى الشعوبيين نارًا جاحمة وسفّه عقولهم وشكّك فى دينهم ، بما وصفه به من النبل والفصاحة والحكمة والذكاء وجمال الوجه وأناقة الشارة . قال : « كان سهل نفسه عتيق الوجه ، حسن الشارة ، بعيدا من الفدامة ، معتدل القامة ، مقبول الصورة ، يُقْضَى له بالحكمة قبل الخبرة ، وبرقّة الذهن قبل المخاطبة ، وبدقّة المذهب قبل الامتحان ، وبالنبل قبل التكشّف » (٢٩) . وفضلاً عن ذلك فقد احتفى الجاحظ فى « البيان والتبيين » بكل قول قاله سهل فى مسائل البلاغة والبيان ، وأبرزه بوصفه من الكلام المأثور الذى ينبغى حفظه والاستضاءة به .

ولم يحدث أن ذكر شعوبيته من قريب أو بعيد .

لكل هذا نرى أن سهلاً لم يكن شعوبيا ، فضلاً عن أن تكون عصبيته على العرب شديدة كما جاء في بعض الكتب التي ترجمت له . وقد دفع محمد كرد علي عنه تهمة الشعوبية . وحجته في ذلك أن اعتدال شخصيته « يمنعه إلا أن يقدر لكل عنصر خصائصه . وهو لم يُعَدَّ رجلاً مذكورا إلا بالإسلام والأخذ عن علماء العرب » (٣٠) . وقد رأينا أيضا د . المهيرى يبدى شيئًا من الارتياب في الروايات التي تتحدث عن شعوبيته .

على أن سهلاً عند محمد حامد الناصر ليس شعوبيا وحسب ، بل هو زنديق أيضًا ، إذ الشعوبية والزندقة عند ذلك الباحث مقترنتان (٣١) .

وهذه التهمة الخطيرة يجب ألا تُطْلَق على أحد دون دليل راسخ . وأين ذلك هنا ؟ إن في الرسالة المنسوبة لسهل والتي يرى فيها الناصر تنديدا بالمثل الخلقية والقيم الإسلامية ما يدل على عكس ذلك ، فهو يستشهد بما أُثِر عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عمر وطلحة ومعاوية وابن سيرين والحسن البصري وغيرهم من الصحابة والتابعين . وهناك إشارة عفوية إلى وضوئه ، مما يدلّ على أنه كان يصلّى . وهذه العفوية في الكلام عن شعيرة الوضوء تنفى أن

يكون سهل قد ذكر ذلك تقية وتعمية . قال مدافعًا عن مذهبه فى التدقيق فى الإنفاق حتى ولو فى الماء : « وَعِبْتُم عليَّ قولى : من لم يعرف مواقع السَّرَف فى الموجود الرخيص لم يعرف مواقع الاقتصاد فى الممتنع الغالى : فلقد أُتيتُ من ماء الوضوء بكَيْلة يدل حجمها على مبلغ الكفاية وأشفَّ من الكفاية ، فلما صرت إلى تفريق أجزائه على الأعضاء وإلى التوفير عليها من وظيفة الماء وجدتُ فى الأعضاء فضلاً على الماء ، فعلمتُ أن لو كنت مكَّنتُ الاقتصاد فى أوائله ورغبتُ عن التهاون به فى ابتدائه لخرج آخره على كفاية أوّله ولكان نصيب العضو الأول كنصيب الآخر . فعبتمونى بذلك وشنّعتموه بجهدكم وقبّحتموه . وقد قال الحسن عند ذكر السَّرَف : « إنه ليكون فى الماعونين : الماء والكلإ » ، فلم يرض بذكر الماء حتى أردفه بالكلإ » (٣٢) . فقد جاء ذكر الوضوء ، كما ترى ، فى سياق دفاعه عما اتُّهم به من البُخْل وليس فى أثناء استعراض تدينه مثلا .

ومثل هذه الروح الإسلامية نلقاها فى « كتاب النمر والثعلب » ، فقد بدأه بحمد الله والثناء عليه ثناء مستطابا وتعديد آلائه وتأكيد وحدانيته والصلاة على النبى عليه السلام وتعديد ما خصه ربه به ، كل ذلك فى تفصيل وتطويل . ثم إن الكتاب مملوء

بالآيات والاقتباسات القرآنية ، وما من رسالة فيه من النمر إلى الذئب أو من الذئب إلى النمر إلاّ وقد صُدِّرَتْ بالبسملة والصلاة على النبى عليه السلام ، مع أنه لو لم يبدأ تلك الرسائل على هذا النحو ما عيب عليه شىء ، لأنها رسائل بين حيوانين ، والحيوانات لا تبسمل ولا تصلى على النبى . وقد نقل الجاحظ عنه قوله : « وجب على كل ذى مقالة أن يبتدىء بالحمد لله قبل استفتاحها كما بُدِىء بالنعمة قبل استحقاقها » (٣٣) . كما أن فى القصة حثًا على الجهاد فى سبيل الله (٣٤) وتقديم الآخرة على الدنيا (٣٥) وترك ما يحبه المرء ما دام الله عز وجل يكرهه (٣٦) . وقد حصر سهلٌ الكمالَ البشرى فى الفقه فى الدين والصبر على النوائب وحسن التدبير فى المعيشة (٣٧) ، وجعل شرَ شىء فى الدنيا والآخرة هو الكفر والفقر ، وخير شىءٍ الغنى والتقى (٣٨) . كما لفت النظر إلى قبح ما يقترفه العباد من الذنوب الكثيرة مقابل النعم الوفيرة التى يغدقها الله عليهم (٣٩) . وفوق ذلك فإن أيًا من معاصرى سهل لم يتهمه قط بالزندقة ، بل لا أعلم أحدًا قبل محمد حامد الناصر قد قرفه بشىء من هذا .

وبعد ، فهذا هو رأيى فى دعوى شعوبية سهل وزندقته . وقد أسسته على المعطيات التاريخية المتاحة لنا . ولو ظهرت كتبه الأخرى

المفقودة ووُجد فيها ما يدل على أنه كان شعوبيا أو زنديقا رجعنا عن رأينا . أمّا والوثائق التى بين أيدينا تدل على عكس ما اتُّهم به الرجل من شعوبية وزندقة فإننا سنظل نرفض هذا الاتهام .

وتبقى نسبة رسالة البخل إلى سهل بن هارون . وهناك من يرتاب فيها كما أشار د . المهيرى . وفى رأى د . الحاجرى أن هذه الرسالة إنما ألفها الجاحظ وعزاها إلى سهل ، بالضبط مثلما يتكلم مؤلفو القصص بألسنة شخصياتهم ، لأن الجاحظ فى هذا الكتاب إنما هو فى رأيه فنان يبدع ويولّد لا روائى يلتزم نقل ما وصل إليه كما هو . والدكتور الحاجرى يؤكد أن دلائل نسبتها إلى الجاحظ قوية غالبة ظاهرة (٤٠) . ومع ذلك فإنه لم يُقدّم لنا شيئًا من هذه الدلائل التى يشير إليها . إنما هو مجرد تشكُّك وافتراض .

أما د . شوقى ضيف فيرى أن احتجاج سهل بن هارون فى هذه الرسالة يشبه احتجاج الجاحظ فى حواره وجدله وفصاحته ولسنه بحيث يختلط الأمر على القارىء فيخيل إليه أنها قد تكون من تدبيج الجاحظ ولكنه نسبها إلى سهل لغرضٍ ما . على أن الأستاذ الدكتور يعود فينفى هذا الظن ، لأن نثرَ سهلٍ الآخرَ يدل على أنه كان أيضا لسِنا وأن فى أسلوبه مشابه مما فى أسلوب الجاحظ (٤١) .

وإذا كان لى أن أدلى بدلوى فى هذه المسألة فإنى سأكتفى

ببسط الملاحظات التالية :

فأولا : إذا كان أقارب سهلٍ قد لاموه على بخله وراجعوه فى ذلك فلا شكَّ أنها كانت مراجعة شفوية ردّ عليها شفويا أيضًا . وهذا هو الطبيعى . أما أن يكتب كتابًا فيشهّر بنفسه ويسمّع بها من لم يسمع فذلك غريب . ومتى كان الناس يردُّون على أقاربهم فى مثل هذه الأمور فى رسائل مكتوبة ؟

وثانيـا : إذا كان قد كتبها لبنى عمه فلماذا أرسلها إلى لحسن بن سهـل كمـا جـاء فـى « معجم الأدباء » و « سرح العيون » ؟ (٤٢) المفروض أن ذلك أمر خاص بينه وبين أقاربه ، فكيف يكشفه لرجل من كبار رجال الدولة ؟

وثالثًا : هل من المعقول أنه كان يخصف نعله مثلاً كما قال عن نفسه (٤٣) ، وهو الذى كان يداخل الخلفاء والأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة ؟

ورابعًا : أليس من الغريب أن يصف امرأته بالخُرْق وصبيانَه بالجشع ، سالكًا إياهم مع العبيد والإماء ، بل مع الكلاب والحمير أيضا ، فى قَرنٍ واحد ، وذلك حين قال : « وعبتمونى حين ختمتُ على سدّ عظيم ، وفيه شىء ثمين من فاكهة نفيسة ومن رُطَبة غريبة ، على عبدٍ نهم وصبى جشع وأمة لكعاء وزوجة خرقاء .

وليس من أصل الأدب ولا في ترتيب الحكم ولا في عادات القادة ولا في تدبير السادة أن يستوى في نفيس المأكول وغريب المشروب وثمين الملبوس وخطير المركوب والناعم من كل فن واللباب من كل شكل التابعُ والمتبوع والسيد والمَسُود ، كما لا تستوى مواضعهم في المجلس ومواقع أسمائهم في العنوانات وما يُستَقْبَلون به من التحيات . وكيف وهم لا يفقدون من ذلك ما يفقد القادر ، ولا يكترثون له اكتراث العارف ؟ من شاء أطعم كلبه الدجاج المسمَّن ، وأعلف حماره السمسم المقشَّر » ؟ إن سهل بن هارون ليس كأبي الشمقمق مثلاً حتى يتكلم عن أهل بيته ويفضحهم على رؤوس الأشهاد هكذا ويجعلهم أضحوكة للضاحكين .

وخامسًا : لو كان سهل فعلاً بخيلاً إلى هذا الحدّ العجيب المضحك فلم اكتفى الجاحظ بنقل هذه الرسالة ولم يورد عنه ما أورده عن البخلاء الآخرين من قصص ونوادر ؟

وسادسًا : إذا صح أن سهلاً كان شيعيا كما قيل عنه (٤٤) ، فإن من اللافت للنظر أن تستشهد الرسالة بأقوال معاوية وزياد وعمرو ابن العاص وهشام بن عبد الملك وأبي بكر وعمر ، وتترضّى عن الأخيرَيْن ، وتسترحم الله لعمر ، وتصف الخليفة الأول بـ « الصّدّيق » (٤٥) . ذلك أن هؤلاء عند الشيعة هم ألدّ أعداء

على وآل البيت ، والمغتصبون لحقهم في الخلافة .

أما عن « كتاب النمر والثعلب » فقد أكد د . المهيرى ، كما رأينا ، أن هناك اتفاقا بين الباحثين على نسبة هذا العمل إلى سهل ابن هارون . وقد ذَكَر ، بين من نسبوا هذا الكتاب إلى سهل ، ابنَ النديم . ومع ذلك فقد أشارت ليلى حسن سعد الدين إلى أن د . محمد غنيمى هلال فى كتابه « الأدب المقارن » قد جعله مِنْ وَضْع على بن داود كاتب زبيدة وقال إنه سلك فيه مسلك سهل بن هارون ، وأنه قد تابعه على هذا محمد غفران الخراسانى فى كتابه « ابن المقفع » (٤٦) .

وفى كتاب د . محمد غنيمى هلال المذكور نجد الفقرة التالية : « ولم يقف خطر هذا الكتاب (يقصد « كليلة ودمنة ») عند الترجمة نظما ونثرا ، فقد نسج آخرون على منواله ، فألف سهل بن هارون كتابا سماه « ثعلة وعفراء » هو محاكاة لكتاب « كليلة ودمنة » ، وقد حاكى على بن داود بدوره سهل بن هارون فى كتاب سماه كتاب « النمر والثعلب » . وقد أحال الأستاذ الدكتور فى الهامش على « الفهرست » لابن النديم و « مروج الذهب » للمسعودى (٤٧) . وظاهر الكلام ، كما هو بين ، يوافق ما فهمته هذه الباحثة . لكن « الفهرست » لابن النديم يعزو الكتاب المذكور

لسهل لا لعلي بن داود ، الذي لا يذكر له إلا « كتاب الخرمية » و « كتاب الحرة والأمة » و « كتاب الظراف » (٤٨) . أما كتاب « مروج الذهب » فلم يذكر أن سهلاً قد ألف للمأمون كتاب « ثعلة وعفراء » يعارض به « كليلة ودمنة » ، ولم يشر من قريب أو بعيد إلى كتاب « النمر والثعلب » ، بل لم يورد اسم علي بن داود على الإطلاق (٤٩) .

وبعد ، فهذه طائفة من الملاحظات أكتفي بأن أضعها بين أيدي الباحثين ، ولا أجزم بأن الرسالة ليست من صنع سهل وأن الجاحظ هو الذي ألفها ونحلها إياه . صحيح أن الجاحظ نفسه قد ذكر أنه كان في مبتدإ أمره يؤلف الكتاب أو الرسالة وينحلهما لمشاهير عصره حتى يروجا ويلقيا ما يراهما جديرين به من الاهتمام (٥٠) . بيد أن هذا لا يعني بالضرورة أن الرسالة المنسوبة في « البخلاء » لسهل هي من هذا القبيل . على أني لستُ أريد مع ذلك أن أؤكد أنها للجاحظ . إنما أكتفي بما بسطتُه من ملاحظاتٍ ، تاركًا الأمر بعد هذا بين أيدي الباحثين .

الهوامش

١- انظر مثلاً « الفهرست » لابن النديم / تحقيق رضا - تجدد / طهران / ١٣٩١هـ - ١٩٧١م / ١٣٣ ، وياقوت الحموى / معجم الأدباء / ط ٣ / دار الفكر / ١٤٠٠هـ - ١٩٨١م / مجلد ٦ / ج ١١ / ٢٦٦ ، و« زهر الآداب » / للحصرى القيروانى (على هامش « العقد الفريد » / المطبعة الميرية بمصر / ٢ / ١٧٩) ، و « فوات الوفيات » لابن شاكر الكتبى / ط بولاق / ١٢٩٩هـ / ١ / ١٨١ ، وابن نباتة / سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم / دار الفكر العربى / ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م / ٢٤٢ ، وبروكلمان / تاريخ الأدب العربى / ترجمة د . عبد الحليم النجار / ط ٤ / دار المعارف / ٣ / ٣٤ ، ود . محمد نبيه حجاب / مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى حتى نهاية القرن الثالث الهجرى / ط ١ / مكتبة نهضة مصر / ١٣٨١ هـ - ١٩٦١م / ٤٢٠ - ٤٢١ ، ود . شوقى ضيف / العصر العباسى الأول / ط ٦ / دار المعارف / ٥٢٨ ، ود . مصطفى الشكعة / الأدب فى موكب الحضارة الإسلامية / ط ٢ / دار الكتاب اللبنانى / ١٩٧٤ م / ٢ (كتاب النثر) / ٤٧٣ ، ود . عمر فروخ / تاريخ الأدب العربى - الأعصر العباسية / ط ٤ / دار العلم للملايين / ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م / ٢١٣ ، ود . عبد الله سلوم السامرائى / الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية / المؤسسة العراقية للدعاية والطباعة / ٩٨ ، ومحمد حامد الناصر / الحياة السياسية عند العرب - دراسة مقارنة على ضوء الإسلام / مكتبة السنة / القاهرة / ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م / ١٩٣ ، و E. J. Brill's First Enclopaedia of Islam , Vol. VII , P. 62 .

٢- هامش صفحة ٢٦٦ من المجلد ٦ / ج ١١ من « معجم الأدباء » لياقوت الحموى .

٣- شارل بلات / الجاحظ فى البصرة وبغداد وسامراء / ترجمة د . إبراهيم الكيلانى / دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر / دمشق / ١٩٦١ م / ٣١٢ .

٤- محمد حامد الناصر / الحياة السياسية عند العرب / ١٩٣ .

٥- شارل بلات / الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء / ترجمة د . إبراهيم الكيلاني /٤٠٠ .

6- E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam , Vol. VII , P. 62 .

وقد ذكر كاتب مادة « سهل بن هارون » في « دائرة المعارف الإسلامية » (وهو المستشرق كريمرز) أن سهلاً كتب هذه الرسالة لأولاد إخوته لا لبني عمّه .

٧- د . شوقي ضيف / العصر العباسي الأول / ٥٢٨ . وانظر أيضا ص / ٥٣٦ من هذا الكتاب .

٨- المرجع السابق / ٥٣٦ ، و « الفن ومذاهبه في النثر العربي » للدكتور شوقي ضيف أيضا / ط ٥ / دار المعارف / ١٥٠ .

٩- د . مصطفى الشكعة / الأدب في موكب الحضارة الإسلامية / ٢ (كتاب النثر) / ٤٧٣ - ٤٧٤ .

١٠- محمد حامد الناصر / الحياة السياسية عند العرب / ٢٠٠ .

١١- انظر كتابه « الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية » / ٦٨ .

١٢- الجاحظ / البخلاء / تحقيق أحمد العوامري وعلي الجارم / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م / ١ / ٣٢ - ٤٥ .

١٣- ابن عبد ربه / العقد الفريد / ٣ / ٢٥٨ - ٢٦٠ .

١٤- أم ترى د . السامرائي ممن يتشككون في نسبتها إلى سهل ؟

١٥- سوف أتناول هذه النقطة في آخر هذا الفصل .

١٦- الجاحظ / البخلاء / تحقيق أحمد العوامري وعلي الجارم / ١ / ٤٢ ، والبيان والتبيين / دار إحياء التراث العربي / بيروت / ١ / ٢ / ١٥٧ ، والحصري / زهر الآداب (على هامش « العقد الفريد » / ٢ / ١٧٩) ، ومحمد كرد علي / أمراء البيان / ١٥٢ ، ١٦٦ ، ود . عمر فروخ / تاريخ الأدب العربي - الأعصر العباسية / ٢ / ٢١٤ .

١٧- انظر الجاحظ / البخلاء / تحقيق أحمد العوامرى وعلى الجارم / ١ / ٤٢ ، ومحمد كرد على / أمراء البيان / ط ٣ / دار الأمانة / بيروت / ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م / ١٦٦ .

١٨- الحصرى / زهر الآداب (على هامش « العقد الفريد » / ٢ / ١٨٠) ، وابن شاكر الكتبى / فوات الوفيات / ١ ، ١٨١ ، وابن نباتة / سرح العيون / ٢٤٨ .

١٩- كتاب النمر والثعلب / ٧٦ .

٢٠- السابق / ٤٦ .

٢١- نفسه / ٥٣ .

٢٢- الحصرى / زهر الآداب (على هامش « العقد الفريد » / ٣ / ١٣٨ - ١٣٩) .

٢٣- انظر « زهر الآداب » (على هامش « العقد الفريد » / ٢ / ١٧٨ - ١٧٩) . وانظر كذلك ابن نباتة / سرح العيون / ٢٤٥ .

24- E. J. Brill's First Encyclopaeida of Islam , Vol . VII , P. 62 .

٢٥- جاء فى « أمراء البيان » لكرد على (ص / ١٥٠) : « وروى بعض الرواة أن المأمون كان استقلّ سهل بن هارون ... » . وواضح أنه نقل ما جاء عند الحصرى كما هو ، ولكن بعد أن حذفَ كلمة « من » التى تفصل بين « كان » و « استقلّ » .

٢٦- سرح العيون / ٢٤٥ .

27- First Encyclopaedia of Islam , Vol. VII , P. 62 .

٢٨- الحصرى / زهر الآداب (على هامش « العقد الفريد » / ٢ / ١٧٩) .

٢٩- الجاحظ / البيان والتبيين / ١ / ١ / ٦٥ .

٣٠- محمد كرد على / أمراء البيان / ١٤٢ .

٣١- انظر كتابه « الحياة السياسية عند العرب » / ٢٠٠ .

٣٢- البخلاء / ٣٥ .

٣٣- الجاحظ / البيان والتبيين / ١ / ٢ / ٩٨ .

٣٤- كتاب النمر والثعلب / ٥٦ .

٣٥- المرجع السابق / ٧٠ .

٣٦- نفسه / ٧٣ .

٣٧- نفس المرجع والصفحة .

٣٨- المرجع السابق / ٧٥ .

٣٩- نفسه / ٧٦ .

٤٠- انظر « البخلاء » للجاحظ / تحقيق د . طه الحاجرى / دار المعارف / القاهرة / ٢٦٩ - ٢٧٠ .

٤١- انظر « الفن ومذاهبه فى النثر العربى » / ١٤٩ - ١٥٤ .

٤٢- انظر ياقوت الحموى / معجم الأدباء / مجلد ٦ / ج ١١ / ٢٦٦ ، وابن نباتة / سرح العيون / ٢٤٣ .

٤٣- انظر « البخلاء » / تحقيق العوامرى والجارم / ٣٧ .

٤٤- انظر فى شيعيته محمد كرد على / أمراء البيان / ١٤١ .

٤٥- انظر « البخلاء » / تحقيق العوامرى والجارم / ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ .

٤٦- انظر ليلى حسن سعد الدين / كليلة ودمنة فى الأدب العربى - دراسة مقارنة / مكتبة الرسالة / عمان / ٣٠٧ ، ٣١٥ - ٣١٦ .

٤٧- د . محمد غنيمى هلال / الأدب المقارن / دار نهضة مصر / القاهرة / ١٨٢ .

٤٨- الفهرست / ١٣٤ .

٤٩- انظر المسعودى / مروج الذهب / تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد / ط ٢ / المكتبة التجارية / ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م / ١ / ٨ .

٥٠- انظر الجاحظ / رسالة فصل ما بين العداوة والحسد (فى « مجموع رسائل الجاحظ » / تحقيق باول كراوس وطه الحاجرى / لجنة التأليف والترجمة والنشر / القاهرة / ١٩٤٣ م / ١٠٨ - ١٠٩) .

بناء قصة « النمر والثعلب »
ومقارنتها بـ « كليلة ودمنة »

بقلم إبراهيم عوض

تتلخص القصة فى أنه كان ثعلب وزوجته يعيشان فى أحد الأودية ، فهجم السيل عليهما فأغرق الزوجة ، أما الثعلب فقد تعلق بخشبة حملها الماء إلى جزيرة لقى فيها ذئبًا ضاويًا رغم امتلاء المكان بالظباء والبقر الوحشى ، إذ كان يخاف أن يقرب شيئًا منها خشية أن يبطش به النمر حاكم الجزيرة الطاغى . لكن الثعلب أخذ يزيّن له أن يتقرب من النمر وأن يعرض عليه العمل عنده واليًا ، وظلّ به حتى اقتنع وذهب فعرض نفسه على النمر ، الذى ولاّه منطقة مناهل الظباء لقاء خراج معلومٍ من الصيد . وبدأ الذئب يمارس مهامّه بعد أن جعل من الثعلب وزيرًا له ، فصلحت حالهما ورفه عيشهما ، إلا أن الذئب لم يرسل للنمر مما كانا يصطادان شيئًا . وتأتيه رسالة من الملك تذكّره بالاتفاق الذى بينهما ، فيرد الذئب برسالة لا تشفى غليل النمر ، الذى يبعث إليه برسالة أخرى يطلب منه فيها أن يعلن موقفه دون لبس . لكن الذئب يلجّ فى العصيان فيجيّش له النمر جيشا بعد آخر ، إلاّ أن النصر يحالف الذئب فى هاتين المعركتين . وعندئذ ينهض إليه النمر بنفسه بناء على مشورة أحد وزرائه فتدور الدائرة على الذئب وأتباعه . أما الثعلب فقد أراد الملك أن يقتله لولا

أنه استرحمه واعدًا إياه أن يضع نفسه وخبرته فى خدمته ، فيطلب حينئذ من وزرائه أن يختبروا ما عنده من عقل وحكمة فيجدونه على نصيب وافر منهما ، لا يُسأل عن شىء من أمور الدنيا والآخرة إلا ردّ بأفضل جوابٍ وأبلغ بيان ، فيكافئه الملك ويقرّبه إليه ويكرم جواره ويأخذ رأيه فى كل أمرٍ يقع ، ويظل عنده بهذه المنزلة الرفيعة إلى أن يموت .

ويبدأ الكتاب بحمد الله وتسبيحه وذكر آلائه والشهادة بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام والثناء عليه وإبراز ما تميز به على غيره من البشر والرسل . وقد استغرق هذا صفحة كاملة تقريبًا . ويلاحظ أنه لا علاقة بين أحداث القصة ومغزاها وبين ما ورد فى حمد الله وتسبيحه والثناء على رسوله من تلوينات ، على عكس ما يحرص عليه مثلا خطباء الجمعة المبرزون فى خطبهم من أن تكون تلوينات التحميد والصلاة على النبى فى بداية الخطبة إرهاصًا بالموضوع التى سيتناولونه فيها . فإذا كانت تدور حول العلم مثلا ذُكِر من أسماء الله الحسنى صفة العلم وأُشير إلى حث الرسول عليه السلام على طلبه ... وهكذا .

ويلى ذلك فقرة من نحو سبعة أسطر يدعو فيها المؤلف بالتوفيق والسداد للشخص الذى كتب من أجله هذه الرسالة ويشرح له

الأسباب التى دعته إلى تأليفها ، وهى عرض نموذج من الكتابة المترسلة البليغة التى تدور حول الحروب والسياسة والحكم والمواعظ والأمثال .

ولكن مَنْ ذلك الشخص الذى ألّف له سهل هذا العمل ؟ ليس فى الكتاب ولا فيما قاله القدماء عن سهلٍ أو عمله ردّ على هذا السؤال . وقد تناول د . المهيرى هذه المسألة وقال أوّلاً إنه من غير المستبعد أن يكون سهل قد ألّف هذه القصة ليحيى البرمكى أو لواحد من أفراد أسرته . ثم عاد فقال إن من الممكن أن يكون سهل قد كتب قصته لهارون الرشيد بغية تقوية مكانته لديه . إلا أننى لا أظن أن الرسالة قد كتبت لهارون الرشيد (أو للمأمون) ، لأن العبارات التى يتوجه فيها سهل إلى من ألف له الكتاب تخلو تمامًا من الضراعة والإطناب فى الثناء والتمجيد الذى درج عليه مؤلفو تلك العصور فى مخاطبة الخلفاء . بل ربما كانت تلك العبارات أقل مما كان يخاطَب به الوزراء حينذاك أيضا . وفى افتتاحيات الجاحظ لبعض الرسائل التى كان يهديها إلى ابن الزيات مثلا احتفاءٌ أكبر ومبالغة فى الدعاء والثناء أشدّ ، رغم أن مكانة ابن الزيات فى الدولة لم تكن تسامت ما كان يتمتع به البرامكة فى ظل الرشيد قبل أن ينقلب عليهم وينكبهم . وهذا كل ما يمكننى قوله فى هذه النقطة .

ثم يدخل المؤلف فى قصته بادئًا بقوله : « ذُكِر أن ثعلبًا يقال له : « مرزوق » ويكنَّى « أبا الصباح » أقام فى واد لم يكن فيه غيره ... » (ص / ٨) . وكما نرى لم يقل المؤلف : « كان فى الوادى الفلانى ثعلب اسمه كذا » ، بل سار على نهج كثير من القصص والحكايات فى ذلك الوقت ، إذ تبدأ بعبارة « يُحْكَى أنَّ » أو ما يشابهها .

وأشخاص القصة البارزون قليلون ، فهم لا يتعدون الثعلب والذئب والنمر . أما وزراء النمر فهم ظلال باهتة لا نعرف عنهم ولا عن شخصياتهم شيئًا . ومثل ذلك القائدان اللذان أرسلهما النمر لمحاربة الذئب المتمرد .

وهذه الشخصيات ، وإن كانت شخصيات حيوانية ، تتصرف وتفكر وتشعر وتتكلم وتكتب كما يفعل البشر طبق الأصل . إنها تستشهد بالشعر والأمثال والحِكَم والآيات القرآنية ، وإذا أشارت إلى الشخص بوجه عام استعملت لفظة « المرء » أو « الإنسان » . والنمر حين يأمر كاتبه أن يحبّر للذئب عهدا بتولى مناهل الظباء يقول له : « اكتب يا غلام » (ص / ١٧) . وهو يتحدث عن الآخرة مخوفًا الذئب من الحساب الإلهى (ص / ٣٣) . وحين يستشير الذئبُ الثعلبَ فى حرب القائد الذى أرسله النمر لمحاربته ينصحه

الثعلب ضمن ما ينصحه أن يستخير الله (ص / ٣٩) . والرسائل التى تروح وتجىء بين النمر والذئب تبتدىء بالبسملة والصلاة على النبى ، والأسئلة التى يمتحن بها الوزراءُ الثعلبَ فى آخر القصة تدور كلها حول الإنسان والعقل وما إلى ذلك مما يتعلق بالبشر وأحوالهم وتصرفاتهم (ص / ٤٧ فصاعدا) .

وقد خلع المؤلف على عدد من شخصيات قصته أسماء بشرية ، بل وجعلها أسماءً رمزية : فالثعلب يسمَّى « مرزوقا » ، لأنه رُزق الحكمة والسلامة من كل مكروه أحاط به . والذئب هو « مكابر بن مساور » لتمرده وشراسته . واسما النمرين اللذين بعث بهما الملك لمحاربة الذئب هما « الوثاب بن المنتهش » و « خداش بن عضّاض » . والاسمان ، كما هو بيّن ، يتسقان مع المهمة التى وكلها إليهما النمر الملك الأكبر . واسم هذا الملك هو « المظفر بن منصور » ، وهى تسمية تنطبق عليه ، إذ كُتب له فى نهاية المطاف النصر والظفر ، فقد صَرَع الذئبَ بنفسه وتخلّص من عصيانه ومما كان يسبّبه له من قلق على هيبته ومملكته .

ويركز المؤلف على موضوعه الرئيسى فلا يخرج عنه أبدا ليتحدث مثلاً عن الطبيعة ، أو ليدخل بيوت أبطاله ويصف ما يدور فيها ، أو يتجول فى شوارع الجزيرة ويذكر بعض المشاهدات هناك ،

أو يصور مجلس الملك وما يحفه من جلال أو توتّر حسب اختلاف الظروف ، أو يتغلغل في نفوس شخصياته محلّلا أفكارهم ومشاعرهم ... إلخ .

وحركة الأحداث في القصة بطيئة . وهي في نصفها الثاني تنعدم تمامًا ، إذ تتحول القصة إلى حوار خالص حول قضايا عقلية بحتة بين وزراء النمر والثعلب .

وللرسائل دور مهمّ في القصة ، إذ يبلغ عددها فيها ثماني ، وكل منها يمثل تطورا في أحداث القصة . ويفصل بين بداية كل منها وبداية التي تليها صفحتان اثنتان لاغير في كل الأحوال تقريبا (انظر ص / ١٨ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٥) .

وتعكس القصة صورة الحكام ونظرة الناس إليهم في العصور القديمة ، فهم مستبدون لا يبالون إلاّ بمجدهم وترفهم . والولاة كذلك لا يفكرون في غير مصالحهم . أما الرعية فهي ضائعة بين هؤلاء وأولئك ، لا يفكر في أمرها أحد ، ولا هي ترى لنفسها حقًا عند أحد . والرجل الحكيم هو الذي يدور مع الزمان حيث دار . ويمثله الثعلب ، الذي يظل واقفا إلى جانب الذئب ما بقي ذا شوكة ، فإذا ما قُتِل وانطوى خبره لم يجد أي حرج في أن يعرض نفسه على النمر كي يتخذه ناصحًا مستشارًا ، ثم يخدمه بعد ذلك بنفس

الهمة التى كان يخدم بها الذئب من قبل . ولعلنا لا نكون مخطئين إذا رأينا فى الثعلب صورةً لسهل بن هارون ، الذى كان يخدم البرامكة ، فلما ضربهم الرشيد ضربته القاصمة تحول سهلٌ يؤدى له نفس الخدمات التى كان يؤديها لهم ، وبنفس الحماسة والنشاط .

وليس شرطًا أن تكون الاشارة فى القصة إلى العلاقة بين الرشيد والبرامكة بالذات ، إذ لم يكن ذلك إلا الوضع العام فى تلك العصور بين الخلفاء ورجالهم ، الذى يثقون بهم ويعتمدون عليهم فى أول الأمر ثم يتغيرون عليهم بعد ذلك ويطيحون بهم . وقد حدث لأبى مسلم الخراسانى على يد أبى جعفر المنصور ما حدث للبرامكة مع حفيده الرشيد . وبالمناسبة ، فإننى لا أستطيع أن أتجاهل التقارب الشديد بين اسم النمر الملك فى القصة ، وهو « المظفر بن منصور » ، واسم ذلك الخليفة العباسى : فـ « المظفر » تتوافق إيقاعيا هى و « أبو جعفر » إلى حد كبير . أما « المنصور » فهى هى هنا وهناك . وينبغى ألا ننسى أن النمر يتصف بالبخل ، وهى الصفة التى لصقت بالمنصور أيضا .

أما أسلوب القصة فهو أسلوبٌ سهلٌ ليس فى ألفاظه غموض ولا فى تراكيبه تعقيد أو تكلُّف . والجمل متوسطة الطول . وتارة يجىء الكلام مترسلا ، وتارة يجىء مسجوعًا ، وكثيرًا ما يقترن

السجع بالتوازن . كما تبرز الاقتباسات القرآنية وتضمينات الأمثال والشعر .

ولا فرق فى الأسلوب بين سرد وحوار ، فسماته فى الحالين واحدة ، إلاّ أن شخصيات القصة كثيراً ما تضرب الأمثال وتستشهد بالأشعار .

وفى العبارات الممهدة لكلام المتحاورين يجرى الكاتب على سنة الأسلوب القديم ، إذ يقول : « قال النمر : » ، « قال الثعلب : » ، « قال الوزير الأول : » ، « قال الوزير الثانى : » ... إلخ ، دون تنويع فى العبارة الدالة على القول ، فلا نسمعه يقول مثلا : « صاح فلان : » أو « فأجابه ممتعضا بقوله : » أو « همس من بين أسنانه قائلا : » إلا فى القليل ، وذلك كقوله : « فقص عليه الثعلب قصته وقال له : ... » (ص / ١٢) . أما فى المناقشة التى تشغل نصف القصة الثانى تقريبًا والتى تدور بين الثعلب ووزراء النمر فإننا لا نسمع إلاّ : « قال : ... » ، « قال : ... » لكل من الوزير الذى عليه الدور فى السؤال والثعلب على السواء . وعندما تقترب القصة من نهايتها تقصر عبارات الحوار فلا يتعدى كلام المتكلم أكثر من نصف سطر ، بل ربّما هبط إلى ما دون ذلك فكان كلمة واحدة .

هـذا ، ويربـط الدارسـون بيـن كتابـى « النمـر والثعلـب » و « كليلـة ودمنـة » لكون كل منهما يتخـذ شخصياتـه مـن الحيوانـات (١) . ونحب ، مادام الأمر كذلك ، أن نفصل القول بعض الشيء فى هذه المقارنة بدلاً من الاكتفاء بذكر هذه المشابهة العامة التى يشير إليها الباحثون .

ونبدأ بالأسلوب ، وأحسب أن أسلوب ابن المقفع آنق وأفخم ، والسجع والترادف والتوازن فيه أقل بروزا مما عند سهل . أما العبارات القرآنية فإن ابن المقفع لا يقتبسها اقتباسًا ، إنما يستوحيها فقط ، محورا إياها قليلاً أو كثيرًا (٢) . وعلى عكس « النمر والثعلب » فإن كتاب ابن المقفع يخلو تمامًا من الاستشهاد بالشعر . وكذلك ليس فيه أمثال عربية ، وإن كان هذا لا يمنع أن هناك تقاربًا بين ما يسوق من أمثال الأعاجم أو من كلام حكمائهم وبين الأشعار العربية . وقد تجرد للمقارنة بين أمثال الكتاب وتلك الأشعار أبو عبد الله محمد بن حسين بن عمر اليمنى فى كتابه « مضاهاة أمثال كليلة ودمنة بما أشبهها من أشعار العرب » . وإذا كان للرسائل دور بارز فى « النمر والثعلب » فإنها لا وجود لها فى قصص « كليلة ودمنة » .

وفى كل من العملين إذا استشهدت إحدى الشخصيات بمَثَلٍ

أو كلمة فإنها تقول : « وقد قيل : ... » أو « وقد كان يقال : ... » أو « فإنه يقال : ... » أو « وقالت الحكماء : ... » أو شيئا من هذا القبيل ، ثم تسوق ما تريد ذكره من حكمة أو مَثَل .

وبالنسبة للبلاد والأماكن نجد أن كتاب « كليلة ودمنة » يذكر أسماءها . أمّا فى « النمر والثعلب » فهى مجهَلة . وهذه قائمة بأسماء البلاد التى استطعتُ جمعها من قصص ابن المقفَّع : أرض دستاوند ، وأرض سكاوندَجين ، ومدينة داهر ، ومدينة ماروت ، وأرض جرجان ، ونهاوند ، وبلخ ، وصنجين ، وكازرون ، ورهزين ، وكَيْدور ، وأرزن ، ومدينة توادرخت ، ومدينة مَطْرون ، وفويران (٣) .

وأسماء الحيوانات فى « النمر والثعلب » أسماء عربية . وهى فوق ذلك أسماء رمزية كما أوضحتُ سالفًا . أمّا فى « كليلة ودمنة » فالأسماء أعجمية ، وهذا طبيعى ، لأنها قصص مترجمة ، وبيئتها وشخصياتها أعجمية . ولا أظنها ترمز إلى شىء ، وإلاَّ لأشار إلى ذلك ابن المقفع .

وشخصيات سهل بن هارون فى « النمر والثعلب » كلها من الحيوانات . أما فى قصص « كليلة ودمنة » فهى مزاج من البشر والحيوان . وعلى حين أن حيوانات كتاب سهل لا تخرج عن الثعلب

والذئب والنمر ، فإننا نلقى فى قصص ابن المقفع الحمارَ والغيلم والبَبْر والفيل والأسد والخنزير والثعلب وابن آوى وابن عُرْس والقرد والظبى والسِّنَّوْر والأرنب والجُرَذ والسمكة والضفدع والجمل ومالك الحزين والهدهد والبومة والحية ، علاوة على الأنهار والبرك وأنواع الأشجار المختلفة ، مما لا تعرفه قصة « النمر والثعلب » .

ومن بين الشخصيات البشرية فى « كليلة ودمنة » يتكرر ذكر النساك بشكل ملحوظ (٤) .

ونرى الملوك فى الكتابين يشاورون وزراءهم قبل أى قرار يتخذونه .

والقصة فى كتاب سهل تمضى فى خط مستقيم ، أمّا فى « كليلة ودمنة » فإن بعض القصص يتخذ شكلاً حلزونيا ، إذ تحتوى كل منها على قصة ، وهذه القصة تحتوى بدورها على قصة ثالثة .

وبينما تبدأ قصة سهل بقوله بعد خطبة الكتاب : « ذُكر أن ثعلبا اسمه مرزوق ... » فإن قصص « كليلة ودمنة » تبدأ بقول المؤلف : « قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : اضرب لى مثلا لكذا » (على سبيل المثال : « اضرب لى مثلاً لمتحابَّيْن يقطع بينهما الكذوب المحتال حتى يحملهما على العداوة والبغضاء » (٥) ، أو

، قد سمعتُ مَثَل المتحابين كيف قطع بينهما الكذوب وإلى ماذا
سارت عاقبة أمره من بعد ذلك ، فحدثنى إن رأيت عن إخوان
الصفاء كيف يُبْتَدأ تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض ») ، فيتحدث
بيدبا عن الأمر حديثا نظريا فى كلمات قليلة ، ثم يقول مثلاً :
« ومن أمثال ذلك مَثَلُ الحمامة المطوّقة والجُرَذ والظبى والغراب » ،
فيقول الملك : « وكيف كان ذلك ؟ » فيرد عليه بيدبا : « زعموا
أنه كان بأرض سكاوندجين ، عند مدينة داهَر ، مكان كثير الصيد
ينتابه الصيادون ... إلخ » (٦) ... وهكذا .

وفى أثناء ذلك يكثر بيدبا من إيراد الحكايات لتوضيح ما
يريد ، فيقول مثلاً : « كالذى زعموا من أنه كان كذا وكذا ... »
أو « مَثَله كمثَل كذا » أو « والمثل فى ذلك ... » (٧) ، ثم يسوق
القصة التوضيحية . وهو ما لا يعرفه كتاب « النمر والثعلب » .

وليس فى قصص « كليلة ودمنة » مثل تلك النهاية
الطويلة (٨) الفاترة التى انتهت بها قصة « النمر والثعلب » ، والتى
تخلو من أى شىء إلا من الحوار بين وزراء النمر والثعلب حول قضايا
عقلية وفلسفية لا علاقة لها بموضوع القصة .

وهناك عدة مشابهات تفصيلية بين الكتابين : فمثلاً فى
« كليلة ودمنة » يطلب الإسكندر من الملك مبارزته وعدم تعريض

أتباعهما للخطر (٩) ، وهو نفس ما قاله للذئب أول نمر أُرْسِلَ لمحاربته (١٠) . وفى كلا الكتابين إعظام للعقل ودوره (١١) ، وتفضيل للآخرة الباقية على العاجلة الفانية (١٢) . وصراع النمر والذئب فى قصة سهل بن هارون (١٣) يقابله صراع الأسد والثور عند ابن المقفع (١٤) ، مع ملاحظة أن الثور كان مظلومًا وشى به أعداؤه عند الأسد ، أما الذئب فقد تنكر لما كان اتفق عليه مع النمر وأعلن العصيان والتمرد .

ويقول السمك للعلجوم فى إحدى قصص « كليلة ودمنة » ما مفاده أن العاقل لا يمتنع من استشارة عدوّه فلعله أن يجد فى مشورته ما يفيده (١٥) ، وهو نفس ما يقوله الوزير الثالث للنمر فى كتاب سهل (١٦) . كما نجد فى كلا الكتابين إشارة إلى وجوب ركوب المشقة والخطر فى بعض الأحوال للوصول إلى الهدف (١٧) .

وفى كلا العملين نجد إدانة لتصرف من يشرب السمّ للتجربة (١٨) ، وتشبيها لسَوْرة الحكم بسكر الخمر (١٩) .

وفى كل من العملين أيضا نجد بعض العبارات بنفس الألفاظ أو ما يقرب منها . ومن ذلك : « لا يواظب على باب السلطان إلا من يطّرح الأنفة ويحمل الأذى ويكظم الغيظ ويرفق بالناس ويكتم السرّ » (٢٠) ، « إن أمورا ثلاثة لا يجترىء عليهن إلا أهوج ولا

يسلم منهن إلا قليل وهي : صحبة السلطان ، وائتمان النساء على الأسرار ، وشرب السمّ للتجربة » (٢١) ، « ما الإخوان ولا الأعوان ولا الأصدقاء إلاّ بالمال . ووجدتَ من لا مال له إذا أراد أمرا قعد به العُدْم عما يريده » (٢٢) ، « قالوا : « ليس للعدوّ الحنِق إلا الهرب منه » (٢٣) ، « من كان أصل أمره عداوة جوهرية ثم أحدث صداقة لحاجة حملتْه على ذلك ، فإنه إذا زالت الحاجة التي حملته على ذلك زالت صداقته فتحولت عداوة وصار إلى أصل أمره : كالماء الذي يُسَخّن بالنار ، فإذا رُفع عنها عاد باردا » (٢٤) .

الهوامش

١- انظر مثلا د . شوقى ضيف / العصر العباسى الأول / ٥٣٠ ، وليلى حسن سعد الدين / كليلة ودمنة فى الأدب العربى - دراسة مقارنة / ٣٠٧ - ٣٠٨ ، وما قاله د . عبد القادر المهيرى فى الفصل الثانى من الفصلين اللذين ترجمناهما له فى هذا الكتاب .

٢- انظر المجموعة الكاملة لأعمال ابن المقفع / ط ٤ / دار البيان ودار القاموس الحديث / بيروت / ١٩٧٠ م / ص ٢٧ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٨١ ، ٢٦٧ ، ٢٩٠ ، ٣٢٠ مثلا من كتاب « كليلة ودمنة » .

٣- ص / ٩١ ، ١٧٧ ، ١٨٥ ، ٢٤٠ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٣٠٤ ، ٣٠٩ ، ٣١٣ من كتاب « كليلة ودمنة » (فى « المجموعة الكاملة لأعمال ابن المقفع ») .

٤- انظر ص / ١٨٥ ، ٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٦٢ ، ٢٧٤ ، ٢٩٩ .

٥- ص / ٩١ .

٦- ص / ١٧٧ .

٧- انظر مثلا ص / ٦١ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٩ ، ١٤٧ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢٠٣ .

٨- استغرقت هذه النهاية حوالى نصف صفحات الكتاب .

٩- ص / ١٣ .

١٠- النمر والثعلب / ٣٤ .

١١- كليلة ودمنة / ٢٣ ، والنمر والثعلب / ٥١ .

١٢- كليلة ودمنة / ٨٥ ، والنمر والثعلب / ٦٩ .

١٣- ص / ٤٣ .

١٤- ص / ١٤٣ .

١٥- ص / ١١٣ .

١٦- ص / ٢٥ .

١٧- كليلة ودمنة / ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، والنمر والثعلب / ١٦ .

١٨- كليلة ودمنة / ١٩ ، ١٠١ ، والنمر والثعلب / ١٥ .

١٩- كليلة ودمنة / ٢٣ ، ١٣١ ، والنمر والثعلب / ١٦ .

٢٠- كليلة ودمنة / ١٠٠ ، والنمر والثعلب / ١٥ .

٢١- كليلة ودمنة / ١٠١ ، والنمر والثعلب / ١٥ .

٢٢- كليلة ودمنة / ١٨٩ ، والنمر والثعلب / ١٦ .

٢٣- كليلة ودمنة / ٢٠٢ ، والنمر والثعلب / ٢٩ .

٢٤- كليلة ودمنة / ٢٥١ ، والنمر والثعلب / ٤٦ .

ملاحظات حول تحقيق نص القصة وترجمتها إلى الفرنسية
بقلم إبراهيم عوض

بذل د . المهيرى مجهودا لا يستهان به فى تحقيق الكتاب . ذلك أنه لم يقع له إلا مخطوطة واحدة ، وهذه المخطوطة مشحونة بأغلاط النسخ وأخطاء اللغة والإملاء ، فضلاً عن سقوط بعض الألفاظ والعبارات (١) ، ومن ثم فقد كان عليه فى كثير جدا من الأحيان أن يغيّر ما أمامه إلى ما يغلب على ظنه أو يخمّن أنه الصواب حتى يكون هناك معنى لما هو مكتوب فى المخطوطة . وباطّلاعة سريعة على الهوامش التحقيقية للكتاب يتأكد القارىء مما نقول . ومع هذا فإن المحقق يقرّ بأنه لا يزال فى الكتاب نصوص هو غير راضٍ عن تحقيقها وينتظر أن تظهر مخطوطة أخرى تساعد على قراءتها قراءة يرتاح لها ضميره (٢) .

كذلك فالذى يراجع الترجمة الفرنسية على النص العربى يدرك الصعوبات الجمة التى واجهت د . المهيرى وهو ينقل هذا الأثر الأدبى إلى لسان الفرنسيين ، فالنصّ مكتوب بأسلوب قديم يعجّ بالسجع والمترادفات والأمثال والحكم والآيات القرآنية ، واللغة التى تُرْجِم إليها النص ليست اللسان القومى للمترجم . وفوق ذلك فثمة مواضع كثيرة فى الكتاب يكتنفها الغموض بسبب صعوبة التحقيق المشار إليها .

من هنا فمن الطبيعي جدا أن يكون هناك مجال واسع للاستدراكات على قراءة المخطوطة وترجمتها . وقد عنّت لى بعض الملاحظات على هذه وتلك ، وهأنذا مثبتها فيما يلى ، وإن كنت لا أستطيع أن أجزم بمدى صحة الملاحظات من النوع الأول . إنما هى مجرد اجتهاد اضطلعتُ به خدمة للعلم ورغبة فى الوصول إلى قراءة أفضل لهذا العمل الأدبى النفيس ، إلى أن تتيسر مخطوطات أخرى للكتاب . وهذه الملاحظات لا تغضّ أبدا من الجهد القيم الذى نهض به د . المهيرى . وأحبّ أن أنبّه القارىء إلى أنها قائمة على قراءة النص مطبوعًا لا مخطوطًا ، اللهم إلا الصفحتين الأولى والأخيرة منه ، لأنهما مصوّرتان مع النص المطبوع .

وأبدأ بهذا النوع من الملاحظات ، وهى ملاحظات قائمة فى كثير من الحالات على التخمين . وقد يظهر، بعد اكتشاف مخطوطات أخرى للكتاب ، أن معظمها أو بعضها غير صحيح ، لكنها تبدو لى مع ذلك أفضل قراءة للألفاظ أو العبارات التى تتعلق بها فى الظروف الحالية . على أنه لابد من المسارعة إلى القول بأن بعض الأخطاء فى النص قد تكون راجعة إلى سهو الطابع لا إلى غلط الناسخ أو المحقق .

ومن هذه الملاحظات أننا نقرأ فى أول سطر من الكتاب العبارة

التالية : « الحمد لله الذى فطر العباد على معرفته ، وأكلَّ الألسن على عز صفته » ، وجملة « أكلَّ الألسن على عز صفته » تبدو قلقة لا معنى لها . وأحسب أنها « أكلّ الألسن عن صفته » ، أى منعها القدرة على التعبير عن كنه صفاته عز وجلّ . والكلمة التى قرأها المحقق على أنها « عزّ » تشبه كلمة « عن » الموجودة معها فى نفس السطر من صورة الصفحة الأولى من المخطوطة (٣) . ولعلّ الذى جعله يقرؤها هكذا هو وجود حرف الجر « على » ، ممّا يُسْتَبْعَد معه أن يليه حرف الجر « عن » . أما أنا فإنى أخمّن أن تكون « على » زيادة من الناسخ وقع فيها لسبب أو لآخر .

وبعد ذلك بأسطر نجد هذه الجملة : « وسبحان المهيمن القدوس الذى لا يتوارى عنه ما رقّ من مخلوقاته فى ليل داج ، ولا فى سماء ذات أبراج ، ولا فى أرض ذات فجاج ... إلخ » . ولعلّ قراءة « دقّ » (بالدال) بدلا من « رقّ » (بالراء) تكون أضبط ، إذ المقصود أن بصره وعلمه سبحانه يحيطان بكل شىء مهما « دقّ » . وهذه هى الكلمة التى تستخدم عادةً فى مثل هذا المعنى . أما أن نقول « مهما رقّ » فتبدو نابية عن السياق .

وفى آخر الصفحة يقول المؤلف : « وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله نور أفلق به الظلمات ، وأتم به الكليات » . والفعل

« أفلق » يستعمل فى مثل قولنا : « أَفْلَقَ الشاعرُ » ، أى أتى بالعجيب . أما الظلمات فيجيء معها الفعل « فلق » مجردا من الهمزة ، التى تقلبه من التعدية إلى اللزوم وتغيّر معناه كما رأينا . وهذه الألف (وهى غير مهموزة فى المخطوطة) أقرب هناك إلى كلمة « نور » منها إلى كلمة « فلق » . وأغلب الظن أن الناسخ قد أخطأ فجعل كلمة « نور » منصوبة فألحق بها لهذا السبب ألفًا للتنوين . هذا ، وقد تكون كلمة « الكليات » فى الجملة التى تلى ذلك هى « الكائنات » ، لأنه لا معنى مفهوم لقولنا : « أتم الله بسيدنا محمد الكليات » .

أما قوله عن الثعلب (فى الصفحة الثامنة) : « فَعَبر عليه زمانٌ وهو فى حُسْنِ الحال ، آمن السّرْب ، رخىَ البال » فلا أظن إلا أنه « فغَبَر عليه زمان ... » ، لكن النقطة سقطت من فوق الغين إما من الناسخ وإما من الطابع . ذلك أن الفعل « غبر » (لا « عبر ») هو الذى يستخدم فى مثل هذه العبارة . كذلك أظن أن بقية الكلام هى كالتالى : « وهو حَسَن الحال ، آمن السّرْب ، رخىّ البال » ، إذ العبارة على هذا النحو يتحقق بين جُمَلها جميعا التوزان ، الذى كان الأديب القديم فى العادة حريصًا عليه . وأعتقد أن قلم الناسخ قد سبق فكتب كلمة « فى » ظنا منه أن العبارة

هى : « وهو فى أحسن حال » ، ثم وجدها « حُسْن الحال » ، ونسى فأبقى كلمة « فى » فلم يحذفها .

وفى الصفحة التاسعة نجد شطرة بيت أبى تمام المشهورة : « فالسيل حَرْبٌ للمكان العالى » ، التى قالها مفاخرا بكرمه (ومعناها أنه لنبله ورفعته وعلوّ همته لا يبقى معه المال ، مثلما لا يستقر السيل فى الأمكنة العالية بل يتركها هابطا نحو الأودية والوهاد) ، قد أصبحت : « والسيل خرب للمكان العالى » . وقد جاءت هذه العبارة على لسان الثعلب يحذّر زوجته من البقاء فى الجحر الذى كانا يسكنانه فى قعر أحد الأودية حتى لا يدهمهما السيل على غرة . ولقد ظننتُ فى مبتدإ الأمر أن هذه النقطة الزائدة لا تعدو أن تكون غلطة طباعية . غير أننى لما رجعت إلى الترجمة وجدت المؤلف قد ترجمها على النحو التالى : « ne sape - t - il pas même les endroits surélevés ? » (٤) ، ومعناه بالعربية : « أليس السيل يخرّب حتى الأمكنة العالية ؟ » . وقد اضطُرّ د . المهيرى إلى قلب الجملة من الخبر إلى الاستفهام حتى يكون للجملة على النحو الذى حقّقها به شىء من المعنى ، وإلاَّ فالجملة خبرية لا تحتمل الاستفهام بحال ، وهى تخلو من معنى « حتى » التى أضافها من عنده . وواضح أنه لم يتنبه إلى أن العبارة شطرة بيت لأبى تمام ،

ولولا ذلك ما وقع فى هذا الذى وقع فيه . والدليل على ذلك أنه لم يُحِلْ فى الهامش إلى ديوان أبى تمام أو أى مصدرٍ آخر يوجد فيه ذلك البيت ولا ذَكَر بَحْرَه ، كما هى عادته مع النصوص الشعرية .

وفى الصفحة ذاتها نسمع الثعلب يقول لزوجته : « يا هذه ، قد كان فَرَط من خطائنا فى المقام بهذا الوادى ما كان يهلكنا حتى أتاح الله لنا صديقنا أبا المغلس فحذّرنا المقام به ، وخوّفنا السيل ونحن بقربه » . وأرى أن عبارة « كان يهلكنا » هى تصحيف لـ « كاد يهلكنا » حتى يستقيم المعنى . وقد تصرف الكاتب فى ترجمة العبارة لهذا السبب فجاءت كالآتى : « O femme ! en nous fixant dans cette vallée nous avons commis une erreur qui aurait pu provoquer notre perte » (٥) ، ومعناه أننا بإقامتنا فى هذا الوادى قد ارتكبنا خطأ كان يمكن أن يؤدى إلى هلاكنا . وبطبيعة الحال فإن قولنا : « كان يؤدى إلى هلاكنا » لا يؤدى هذا المعنى ، بل الذى يؤديه هو « كاد يهلكنا » . وبالنسبة لكلمة « بقربه » فهى اجتهاد من المحقق فى قراءة المخطوطة ، إذ هى فى الأصل : « بعقوبة » كما جاء فى الهامش . وأخمّن أن العبارة هى : « وخوّفنا السيلَ ونحن بعَقْوَته » ، فالسيل لم يكن موجودا حتى يقول الثعلب لزوجته إنهما بقربه . وإذا عرفنا أن « العَقْوة » هى الموضع المتسع أمام الدار كان المعنى أن الثعلب وزوجته كانا يعيشان فى متسع

من قاع الوادى حيث يستقر السيل بعد هبوطه من فوق الروابى والآكام .

وفى آخر سطر فى الصفحة العاشرة نجد الآتى : « بمَ إن طارقا ارتحل عنه » . وهى غلطة مطبعية فيما هو واضح ، وصوابها : « ثمّ إن طارقا ارتحل عنه » . كذلك قد وُضعت الشدّة على التاء الثانية فى كلمة « تتبعه » من البيت التالى :

وخير الأمر ما استقبلتَ منه وليس بأن تتّبعه اتباعا

والبيت بهذه الطريقة ينكسر وزنه . والصواب وضع الشدة على الباء ، ويكون الفعل هو « تتتبّع » ثم حُذفت التاء الأولى (تاء المضارعة) تخفيفا . وإذا لم تكن هذه غلطة من الطابع فربّما ظن المحقق أنه ما دامت « اتّباعا » هى المصدر فإن الفعل ينبغى أن يكون « تَتّبع » ، على أساس أن صيغة « افتعال » إنما تأتى من الفعل « افتعل » (اتّبَع - يَتّبع) . لكن ليس شرطا فى المفعول المطلق ، كما هو معروف ، أن يتوافق مع فعله فى الصيغة . وقد جاء مثلا فى القرآن المجيد : « وتَبَتَّـلْ إليه تبتيلاً » (٦) . و « التبتيل » هو مصدر « بَتّل » لا « تبتّل » .

وتقول زوجة الثعلب مهوّنة من شأن السيل : « وقد يجىء فى مثل هذا فى سنة مرارا فما يصل إلينا أوله حتى ينقطع آخره ، فلا تخرجْنا من وطننا ، فإنا به راضون » (ص / ١١) . ومن الواضح

أن « فى » التى بعد « يجىء » لا مكان لها فى الكلام فينبغى حذفها .

ومن الواضح أيضا أن حرف الجرّ « على » فى قول الذئب عن النمر (ص / ١٤) : « فأين ما أخبرتك على بخله وشراسة خُلُقه ؟ » حقه أن يكون « عن » .

وفى نفس الصفحة نقرأ قول الشاعر :

وليس الرزق عن طلب حثيث ... ولكن ألْق دلوك فى الدلاءِ
يجيك بملئها طورا ، وطورًا ... تجىء بحمأة وقليل ماء

والصواب : « تجئْك بملئها ... » .

وفى الصفحة التى تليها يقول سهل : « قال الذئب : إنه كان يقال فى أمور ثلاثة لا يجترىء عليها إلا أهوج ، ولا يسلم منها إلا قليل : صحبة السلطان ، وائتمان النساء على الأسرار ، وشرب السمّ على التجربة » . ولا موضع ، فيما أرى ، لكلمة « فى » بعد « يقال » ، وعندئذ تصبح العبارة هكذا : « إنه كان يقال : أمور ثلاثة لا يجترىء عليها إلا أهوج ... إلخ » .

وبعد ذلك بسطرين نجد قوله : « وليس يواضب على باب السلطان أحد ... إلا خلص إلى حاجته من السلطان » . وليس فى اللغة « واضب » . إنما هى « واظب » . والخلط فى الكتابة بين الضاء والظاء يقع فيه كثير ممن ينطقون الضاد خليطا من الضاد

(كما تنطقها فى مصر) والظاء . وتونس من البلاد التى تنطقها على هذا النحو . وأغلب الظن أنها غلطة من الطابع .

ويقول الذئب للنمر عارضا عليه نفسه كيما يوليه ولاية فى مملكته : « ولما رأيت الملك كثير الكلف ... ، وليس له من عبيده من يعينه على مؤنه ويكفيه الهمم من عمله ندبتُ نفسى للذى رأيتَنى أقوى عليه من حسن السياسة ... » (ص / ١٧) . ولا أظن أنها « ويكفيه الهمم من عمله » ، ولعلها « ويكفيه الهم ... » .

كما أحسب أن قوله فى الصفحة الثانية عشرة على لسان النمر فى خطابه للذئب بعد خيسه بالعهد : « فإن امرأً لو صان ثوب نعمته لما مسّه من عُرْى فاقته تمسكا بحبلها لما ناله من انقطاعها ، واحتمل عز الكرامة لما كان فيه من ذلة الهوان ، كان ذلك أحجى بك ... » ينبغى أن يكون هكذا : « فإن امرأً لو صان ثوب نعمته لما مسّه من عرى فاقته ، وتمسّك بحبلها لما ناله من انقطاعها ، واحتمل عزّ الكرامة لما كان فيه من ذلة الهوان ، كان ذلك أحجى بك ... » . ذلك أن الوضع الذى أقترحه للعبارة يحقق بين جميع جملها التوازن ، الذى لا أظنه قد فات سهلاً . وبهذه الطريقة يكون عندنا ثلاث جمل كلٌّ منها يبدأ بفعل ماض وينتهى بشبه الجملة التعليلية « بما ... » . أما على الوضع الذى عليه الكلام فى الكتاب فإن هذا

التوازن يتحطم في قوله : « تمستكا بحبلها ... » ، لأن هذا المصدر لا يقابله مصدر مثله في الجملتين الأخريين .

ويقول النمر أيضا في نفس الخطاب : « تظن ألا يفتضح أمرك ، ولن يُتَأَمَّل تدبيرك ، وقد علمت ما أكَدتَ شرطك على نفسك ، وأعطيت عليه عهدك وذمتك » . وواضح أن الجملة الثالثة ينقصها بعد الفعل كلمة مثل « فيه » حتى يكون في الصلة ضمير يعود على الاسم الموصول « ما » . و « فيه » هذه يقابلها في الجملة التي بعد ذلك كلمة « عليه » .

ويتكلم الذئب (ص / ١٩) عن أمر « بلغ إتَاه ، وانتهى منتهاه » . وأرجّح أن الصواب هو « بلغ إنَاه » ، أي بلغ أوان نضجه . أما « إتاه » فمعناه « ريّعه ومحصوله » .

وفي رأس الصفحة الحادية والعشرين نطالع بيت سحيم بن وثيل الرياحي :

أخو خمسين مجتمعٌ أشُدّى ونجدَ نى مداورة الشؤون

وأغلب الظن أن « نجدَ نى » خطأ طباعي ، وصوابه « نجَّدنى » ، أي أن مداورة الشؤون قد عركته وحنّكته .

وفي نفس الصفحة يقول الذئب للنمر ردًا على خطابه السالف ذكره : « على أن علمي باتّباع حلمه عني يضمن لي العفو منه عن زلّتي » . ولا أراها إلا « اتساع حلمه » ، إذ لا معنى لقولنا :

« اتباع حلم فلان » .

ولاشك أن « مركب الا شر » في الصفحة الثالثة والعشرين هو « مركب الأشر » ، لأن الكلام عن بطر الذئب وغدره بعد أن لم يعد فقيرا محتاجا

وقد ورد هذا التعبير في قول النمر للذئب : « إن النعم إذا امتدّ مهلها بالعبد مسامحة له برغد العيش وكف العسر استعذب موارد البطر واستوطأ مركب الأشر وأسلس قيادا لداعي شقائه وجار في بلائه » . وبالمناسبة ، فالصواب هنا رأيي أن نقول : « وأسلس قياده لداعي شقائه وجاري بلائه » .

وبعد أسطر ثلاثة نقرأ : « غير مؤمّل طلبا ولا مستبق جهدا في سدّ مخصمته وستر خصاصته » . والصواب : « سدّ مخمصته » ، أي إسكات جوع بطنه .

ويلي ذلك قوله : « لا تتسع حاله لدفع مذلّة الفقر ، ولا يفكّ عن عنقه ربق وهوان الفاقة » . وفيه تبدو « الواو » التي تفصل بين « ربق » و « هوان » زائدة ، إذ التركيب على هذا النحو ، رغم صحته نحويا ، ليس شائعا في أسلوب القدماء . وعلاوة على ذلك فإن ترجمة العبارة تخلو من تلك الواو . وهاهي ذي : « il n' avait pas les moyens d' éloigner de lui l' humiliation de la pauverte ni de libérer ses epaules du joug avilissant du dénuement » (٧) .

ثم نقرأ عقب هذا : « وذلك أنت حين نالك من نِعَم من لم تشكره على بلائه ولم تُجْزِه بآلائه » . وفى المخطوطة « نالتك » بدلا من « نالك » ، ولكن المحقق حذف التاء من الفعل . وأرى الإبقاء على الفعل مؤنثا وحذف « مِنْ » أفضل (هكذا : « وذلك أنت حين نالتك نِعَمٌ من لم تشكره على بلائه ») . أمّا الفعل « تجزى » فينبغى أن يكون مفتوح حرف المضارعة لا مضمومها كما فى النصّ ، إذ هو هنا بمعنى « كافأ » لا بمعنى « كَفَى » .

ثم يقول النمر : « ولولا ما أحْبَبْتُ من أن أكون بالغ عُذّر ولا مرهق عُسْر ولا طالب اعتلال بترك مظاهر الحجج وتوكيدها ... لأمسكتُ عن الكتاب إليك » . وليس هناك موضع للواو التى بين « بالغ عذر » و « لا مرهق عسر » ، فينبغى أن يجرى الكلام هكذا : « ولولا ما أحببتُ من أن أكون بالغ عذر لا مرهق عسر ... » .

وفى الصفحة الرابعة والعشرين يقول الثعلب للذئب عن النمر ، وكيف أن أحدًا لا يستطيع أن يخطئه فى شىء ، إنه « يُخْطِىء فيصوَّب ، ويصيب فيفرط » . وأعتقد أن الصواب أن يقال : « ويصيب فيُقرَّظ » ، ويكون معنى الكلام أن النمر ، لكونه ملكًا ، إذا أخطأ قيل له : « أصبت » ، وإذا أصاب أُشيد به وهُلِّل

بتقريظـه . وهـذه ليست غلطة مطبعية ، لأن د. المهيرى قد ترجمهـا على أنها « يُفَرِّط » ، إذ قال : « ont ils raison , ils poussent [leur avantage] jusqu' à l excès » (٨) ، ومعناه أن أمثال النمر إذا أصابوا فإن مَنْ حولهم يفرطون فى الثناء عليهم . وهذا لا يُفْهَم مـن كلمـة « يفـرط » الموجـودة فى النص العربى إلا بلىّ رقبتها ليًا عنيفا . وقد اضطر المترجم إلى أن يزيد فى الجملة كلمتى « leur avantage » لتؤدى هذا المعنى ، بينما تؤديه كلمة « يقرّظ » دون ركوب شىء من هذا الاعتساف .

كذلك فإنّ « رأيْتُ صدع الآفة ، وجمعتُ شمـل الطاعـة » (ص / ٢٦) هى فى الحقيقة « رأبْتُ صدع الآفة ... إلخ » . وعبارة « رأبَ فلانٌ الصدعَ » هى من العبارات الشائعة جداً بحيث لا يكاد يجهلها أحد . وقد ترجمها الأستاذ الدكتور إلى الفرنسية على النحو التالى « J'ai alors retabli l'ordre » (٩) ، وهى ترجمة تعطى المعنى الإجمالى للجملة حسب قراءتى لها .

وفى الصفحة السابعة والعشرين نسمع أحـد الـوزراء يقول للنمـر : « وإن تكن الأخرى (أى إن وقعت الهـزيمة) جـلَّ الخطـب ، وتفاقـم الأمر ، ودمن العدو بكل مكـان ، وأشربـت الفتـن » . ولا أظن إلا أن المراد : « واشرأبّت الفتن » . وقد

ترجمها د . المهيرى بـ « les revoltes se multiplieront » (١٠) ، وهو قريب من التغيير الذى اقترحته .

وكذلك من الواضح أن عبارة « نَعُلّ فيها ونُهِلّ » ، التى وردت فى الكلام التالى للنمر فى رسالته الثانية إلى الذئب ، ونصه : « يا ابن اللكيعة وعبد العصا ، أبالحرب تخوفنا ونحن فلق جوانها ومراضع ألبانها ... ؟ معاقلنا السلاح ، ولقاؤنا الكفاح ، إذ الموارد حياض الحمام ، ومياهها كؤوس السّمام نَعُل فيها ونُهلّ » (ص / ٣٢ - ٣٣) ، إنما هى « نَعُلّ فيها وننهل » . ومن المعروف أن « العلل » و « النهل » هما من الألفاظ التى كثيرا ما تقترن فى لساننا العربى . والمراد أننا كثيرو الشرب من تلك الكؤوس . لكن د . المهيرى قد ترجمها بـ « nous remplissons ces coupes en invoquant le nom de Dieu » (p. 58) ، ومعناه أننا نملأ هذه الكؤوس ذاكرين اسم الله عليها . وذلك رغم أن العلل والنهل كليهما يعنيان الشُرْب لا ملء الكؤوس ، ويبدو أن سبب إشارته إلى ذكر اسم الله أن أحد معانى « نُهِلّ » هو « نلبّى » . وهذا ، كما ترى ، إبعاد فى النجعة .

وواضح أيضا أن كلمة « الظلام » فى البيت التالى (ص / ٣٣) :

تبدو كواكبه والشمس طالعةً لا النور نور ولا الظلام إظلامُ

هى « الإظلام » ، وإلا انكسر وزن البيت .

وعندما يلتقى وثاب مع الذئب فى ميدان الحرب يدعوه للمبارزة قائلاً له : « علام بقتل الأصحاب بيننا ؟ هلمّ إلى المبارزة ، فإنها عدل فى الحكومة ، وفصل فى الخصومة » (ص / ٣٤) . ولست أرى للباء الداخلة على كلمة « قتل » موضعًا ههنا . وأحسب أن الكلام ينبغى أن يكون هكذا : « علام قَتْل (أو علام نقتل) الأصحاب بيننا ؟ » .

ويقول الثعلب للذئب حين رآه يظن أن إقدامه على محاربة النمر غَرَرٌ لأنه لابد مهزوم : « ليس الغرر أن لا يثق المرء فى الحرب بالظفر » . ومن البين أن « لا » قد زيدت هنا فقلبت المعنى المراد . وإن ردّ الذئب على الثعلب ليؤكد ما نراه ، إذ قال له : « إن لم يكن الإقدام على غير الثقة غَرَرا ، فما الغَرَر ؟ » (ص / ٣٧) .

وبعد ذلك بصفحة يقول الثعلب للذئب : « الحرب بدن له طبيعتان مختلفتان وخلق واحد ... ، فطبيعتاه علة الخصمين ، وخلقة الرجاء » . وليس الأمر محتاجًا إلى كبير عناء ليدرك الإنسان أن « خلقة » هى تصحيف لـ « خلقه » ، أى خلق البدن المذكور .

ويرد الذئب قائلاً : « قد زعمت أن بدن الحرب يثبت على

اختلاف طبيعته . ولسنا نجد الآن بدنا يثبت إلا على ائتلاف الطباع وتمازجها ، فكيف وقع تشبيهك بضد معناك ؟ » فيقول الثعلب موضحا : « إنه ليس بضد ، ولكن إنه ليس حياة بدن الإنسان باتفاق طبائعه فى معنى واحد ... » (ص / ٣٨٩) . وأظن أن « لكن » فى كلام الثعلب زائدة ، وأن الكلام هو : « إنه ليس بضد ، وإنه ليس حياة بدن الإنسان باتفاق طبائعه فى معنى واحد » ، إذ ليس ههنا حاجة للاستدراك ، بل الجملة الثانية معطوفة على الأولى أو هى كلام مستأنف .

وبالمثل ليس ثمة موضع لـ « ما » بعد « سقط » فى قوله : « وسقط ما فى يده » (ص / ٤٠) ، إذ ليس المراد أن ما كان يحمله فى يده قد سقط ، بل المقصود أنه قد تحيَّر وارتعب . فالعبارة إذن هى : « وسُقِط فى يده » .

وفى قول الثعلب للذئب : « وأشرتُ عليك بلقاء أكافيك ومدافعة نظرائك من أعدائك ، وأطعتَنى ورشدت » (ص / ٤١) ينبغى تغيير « أكافيك » إلى « أكفائك » حتى تستقيم مع السياق ويكون للكلام معنى . ثم إن « أكفائك » تحقق السجع بين جملتها والجمل التى حولها .

وعندما يقتل النمرُ الذئبَ ويتداول مع وزرائه حول مصير

الثعلب ، الذى كان الذئب قد اتخذه مستشارا له . يقول الوزير الثالث ضمن ما يقول : « قد ميّزْتُ بين الحظ من الثعلب فى المنّ عليه وبين قضاء الوطر من العقوبة له بدمه ، فرأيت ما فرط من فعله لا يعدله الانتقام منه بقتله ، وعاجل الاستماع بالتطول عليه ممكن فيه ، فهبوا لحرمة مسألته العفو عنه » (ص / ٤٥) . وأحسب أن « الاستمتاع » بدل « الاستماع » هى الصواب ، وإن كنت أيضا غير مطمئن إلى لفظة « عاجل » ، بيد أنى لا أستطيع أن أخمّن لها بديلاً .

ومن الواضح البين أن « الهاء » فى « لم يجاوزه » الواردة فى سؤال الوزير الأول التالى للثعلب : « هل تحيط المعرفة بمقدار عقل الانسان حتى إذا أراد واصف أن يصفه لم يجاوزه حده إلى زيادة ولم ينقص عنه إلى نقصان ؟ » ينبغى حذفها ، فإننا لا نقول : « جاوز فلان الشيء حده » ، وإنما نقول : « جاوز حدَّ الشيء » .

كذلك فإننى أستبعد أن يكون سهل فى كلامه عن درجات المعرفة المتفاوتة (ص / ٤٨) قد استخدم عبارة « درَج كثيرة » ، بل أحسب أنه قال : « درجات كثيرة » ، وبخاصة أن كلمة « درجات » قد تكررت عدة مرات فى نفس الصفحة والتى قبلها .

كما يحس المرء بقوة أن قول الثعلب التالى : « فهذا كثير من الناس أن يؤنب أهل النقص بأكثر من مقدار ما يلزمهم » (ص / ٥٠) قد سقط منه بعض الألفاظ واضطرب تركيبه . ولعلّنا لو جعلنا العبارة هكذا : « ومع هذا يكثر من الناس أن يؤنبوا أهل النقص بأكثر من مقدار ما يلزمهم » لكان هذا أقرب ما يكون إلى المقصود .

ويقول الثعلب أيضا (فى نفس الصفحة) إنه « قد يكون الانسان مطبوعًا على عقل ولا علم عنده ، فيكون مثله كمثل العُطْل لا نفع عندها إن بان عنها وترها . فإذا اجتمعا بلغت المراد منها » . ويغلب على خاطرى أن الكلام كان على النحو التالى : « فيكون مثله كمثل القوس العُطْل ... » لأن كلمة « العُطْل » مجرد صفة عامة تحتاج إلى موصوف ، إذ هى تصدق على المرأة التى ليس عليها حليّ ، والقوس التى بلا وتر ، والرجل الذى لا مال له ولا أدب ، والفرس التى خُلّيت من الرَّسَن ، فينبغى إذن تقييدها بالموصوف ، وهو هنا « القوس » .

وفى قول الثعلب أيضا (ص / ٥٢) : « ... والحزم لجامه ، وبه يقوّم مركب هواه . والصدق لسانه ، وبه يخصم من ناواه . والصمت حلله ، وبه يردع خطأ منطقه . والرجا مطيته ، وبه يبلغ نجح حاجته ... إلخ » يبدو لى أن « حلله » ينبغى أن تكون

« حليته » ، فإننا نقول : « الصمت حلية للصامت » لا « حُلَلٌ له » ، وبخاصة أن الخبر فى كل من الجمل الأخرى مفرد لا جمع .

وفى كلام الثعلب عن الشمس والقمر وأنهما لا فضل لهما فيما يصدر عنهما من نور وضياء نقرأ أنهما « لا يقدر ان يأتيا بغيرهما » (ص / ٥٣) . ولابد أن تصحح العبارة لتصبح « لا يقدران أن يأتيا بغيرهما » .

وفى الصفحة ذاتها تجد لفظ « الغنَى » قد كُتِب بالألف خطأً .

كذلك لعلَّ صحة قوله فى نفس الصفحة : « كل شجاع لا علم له بألم الجراح وقدر الحياة وما يحول من دونه من لذيذ العيش فليس بشجاع » هى : « وكل شجاع لا علم له بألم الجراح وكدر الحياة وما يحول دونه من لذيذ العيش فليس بشجاع » .

أمّا فى قوله : « فإن تُجُوّز به هذان الحدان كان اسم العجز أولى به » (ص / ٥٥) فإن الأمر واضح فيما أظن ، إذ اللفظة الصحيحة هى « تُجُووزَ » .

وفى قوله أيضا : « وطول النظر إن يكون نذيرا للمحذور ونظرا فى العواقب فهو تأنّ ورفق » (ص / ٥٧) ينبغى حذف واو

الفعل « يكون » وتسكين نونه لأنه فى حالة جزم ، إذ هو فعل شرط . وقد كان الكلام فى المخطوطة هكذا : « وطول النظر إن لم يكن نذيرا للمحذور ... إلخ » فحذف المحقق « لم » لأن المعنى ، كما قال فى الهامش ، لا يستقيم بالنفى . وصوابًا فعل . لكنى لا أدرى لماذا جُعِل الفعل بعد حذف « لم » مرفوعًا . ألعل د . المهيرى سها فظن أن حذف « لم » الجازمة من شأنه أن يعيد الفعل إلى أصله من الرفع ، ناسيًا أنه إن حُذِفت « لم » فهناك « إن » الشرطية ، وهى تجزم أيضا ؟

ويصف الثعلب حال كل من العاقل والجاهل عند استشارة الآخرين والتعرف على ما عندهم من رأى ونصيحة فيقول إن « العاقل يستشير عارضا للآراء على رأيه وقائسًا بعضها ببعض حتى يقع اختياره على أسدّها . والجاهل يستشير مترددا فى أمره ، فبما يسمع من الآراء [لا يزداد] إلا حيّرة وسماع قُلّب وتقييل رأى حتى يزلّ به المحذور ويلحقه المكروه » (ص / ٥٨) . ويبدو الكلام عن نتيجة الاستشارة بالنسبة للجاهل مضطربًا لا معنى له واضح . وإنما هو فى ظنى : « فبما يسمع من الآراء لا يزداد إلا حَيْرَة وشَعَاع قَلْب وتفييل أو (تَفَيُّل) رأى » . و « شَعَاع القلب » هو تفرقه وانتشاره ، وهذا هو الجزع والارتباك . وقد وردت العبارة

التالية قبل ذلك فى الصفحة الثلاثين من الكتاب : « ولم يَذْهَب قلبُه شَعَاعا » ، أى لم يصبه الارتبـاك والجـزع . و « تفييل الرأى أو تفيُّله » : خطؤه وضعفه . وهذا هو الذى يلائم السياق ، أمّا ما جاء فى النصّ فلا يلائمه ولا يدل على شىء مفهوم . ومع ذلك فلولا أن الأستاذ المحقق قد قرأ النصّ على النحو الذى قرأه عليه فربّما لم أستطع أن أهتدى إلى هذا الذى أظنه هو الصواب ، إذ كان الكلام فى المخطوطة ، كما جاء فى الهامش ، هكذا : « (والجاهل يستشير مترددا فى أمره) فيما يسمع من الآراء الاحره وسماع قلت وتفبيـل راى » . وهو ، كما ترى ، أشبه ما يكون بالكتابة الهيروغليفية .

وعقب ذلك يسأل الوزيرُ الثالث الثعلبَ قائلاً له : « أحسبك عاشرت خلقا ، فصف لنا ما اختبرت من أخلاق من عاشرت من أولاد الدنيا ... » . ويحس المـرء أن هنـاك كلمـة قد سقطت بعد « خلقا » . وأقرب ما يفد على الخاطر أن تقول : « أحسبك عاشرت خلقا كثيرا » . وقد نظرتُ بعد ذلك فى ترجمة د . المهيرى لهذه العبارة فوجدتُها كالآتى : « beaucoup de gens » (١١) ، وهو يتفق مع ما قدّرتُ تمامًا . ولعلّ كلمة « كثيرا » موجودة فى المخطوطة ولكنها سقطت من النص المطبوع .

ولاشك أن قول الثعلب عمن يؤثر العاجلة على الباقية : « لا يزداد عن رأى إلاّ ظمأ ، ولا عن ظمأ إلا وَلَهًا » (ص / ٥٩) ينبغى أن يكون : « لا يزداد عن ريٍّ إلا ظمأ ... إلخ » . ومع هذا فقد ترجمها المؤلف على أنها « رأى : vue » (١٢) لا « ريّ » .

ثم يمضى الثعلب قائلا : « آثر الحاضر على الغائب (فإنى عاجلت على الغائب من باقى آجلته . ثم لعله يكون فى محلّ من شهواته قد اذقته الحتوف وشرب بكأس المنون فخسر الأولى والآخرة . لا يعظ الثانى ما أصاب الأول ، ولا يغنيه فضل ما منع به . وهو كافيه على ازدياد فيه . وهو بالعلم لا يحتاج إليه . وآخر ممن أغفل الأمر الجليل وأضاع الحظ الجزيل وامتنع الا يغفل ويضيع ما دونه) . وكان هذا التغلب شامل أهل الدنيا إلا امرأ وهب الله له غريز عقل ثم أيده بالتوفيق ... » . ويقول المحقق (هامش ١ / ص ٦٠) : « الكلام الذى بين قوسين لم نتمكن من تحقيقه تحقيقا يمكن من فهمه » . ونحن بدورنا سنحاول أن نساهم فى فكّ عقدة النصّ على قدر ما نستطيع . ولعلّنا لا نكون مخطئين إذا قرأنا الجملتين الأوليين على النحو التالى : « آثر الحاضر على الغائب ، وفانى عاجلته على الغائب من باقى آجلته . ثم لعله يكون فى محلّ

مَنْ شهواته قد أذاقته الحتوف ... إلخ » . كما نرجو أن نكون أيضا على صواب إذا جعلنا آخر جملة داخل القوسين جملة استفهامية وقرأناها هكذا : « وآخر ممن أغفل الأمرَ الجليلَ وأضاع الحظ الجزيل ألاَ يَغْفُلُ ويُضيع مادونه ؟ » . أما ما بين الجملتين الأوليين والجملة الأخيرة فإنى أتركه على حاله ، إذ لم يُفْتَح علىَّ فيما غمض منه بشىء ذى بال .

ويقول الثعلب فى نفس الصفحة عن المرء الذى وهبه الله العقل الغزير وأيده بالتوفيق فأصاب الدنيا فى مقتل إنه « لم يلتسق بقلبه حبها فبكى عليها ، ولا استهوته برونقها فيحنَّ إليها » . وفى هذا النص يجب تحويل « بكى » إلى « يبكى » ، إذ إن ذلك المرء لم يبك الدنيا ، فهو لم يكن متعلقًا بها حتى يبكى عليها . فالفاء الداخلة على الفعل هى فاء السببية . ونظير ذلك قوله « فيحنّ » فى الجملة التى عقب هذا .

وفى العبارة التالية من قول الثعلب فى نفس الصفحة أيضا : « قد مُنِع كل واحد منهم بالسرّ الحاجب له عن معرفة نفسه وفهم فضيلته عن غيره » يغلب على الظن أن « الستر » هى الكلمة المرادة لا « السرّ » . وقد وجدت فى الصفحة الثالثة والستين العبارة الآتية : « ولكن ذا اللب إذا خالطه بعض المساوىء كان له من عقله

ساتر يحجبه عن أعين الناس » . وإن قوله « ساتر يحجبه » من شأنه أن يزكى ما اقترحناه من « الستر (لا السرّ) الحاجب » . أما المترجم فلم يجد فى العبارة شيئا ، ومن ثم قال : بـ « le mystere » (١٣) .

وفى قوله (ص / ٦١) : « ولم أجد لكذوبٍ حياءً ولا لحريصٍ غناء ولا لشرهٍ أمانة ولا للئيم رحمة ولا لذى همّ سمعا ولا بصرا ولا لبخيلٍ صديقا ولا لمستظرفٍ عهدا ولا لحسودٍ راحة ولا لقنوع عُدْما ولا لفاسقٍ حرمة ، ولا من الناس سالمًا ولا لمرارة من الخلق مسيغا ولا من نفسه منصفا ولا راضيا عن زمانه ولا عدلا إذا خالف الهوى » أحسب أن هناك كلمة أو أكثر قد سقطت بعد عبارة « ولا لفاسق حرمة » . وإذا جاز لنا أن نخمّن هنا شيئًا فلعل قراءة الكلام على النحو التالى : « ولم أجد أحدًا من الناس سالما ... إلخ » ، إن لم تكن هى الصواب ، ألا تقع بعيدة عنه .

وفى العبارة التالية ، وهى من كلام الثعلب عن العاقل : « علمًا منه أن تكلف ما لا يطاق سفه ، وأن السعى لما لا يدرك عياء نفسه ، وأن وعد ما لا ينجز فضول ، وأن الإنفاق من غير فائدة خرق ، وأن طلب الجزاء بغير العناء سخافة ، وأن بلوغ المنزلة بغير استحقاق إشفاء على الهلكة » (ص / ٦٢) تبدو كلمة

« نفسه » زائدة لا لزوم لها . ويؤكد ذلك كون كلمة « عياء » خبر « أنّ » ، ومجيء الأخبار المناظرة لها قبلها وبعدها غير مضافة .

ومن وصف الثعلب للجاهل أنه « إن نزع به مركب السوء ونابه العرق اللئيم مال به الحرص على الشر كل ميل » (ص / ٦٢) . ولعل الأوفق أن يقال « وثار (أو « نبض ») به العرق اللئيم » .

ويقول الوزير الثالث عن العاقل وأنه رغم عقله واجتماع كثير من الأخلاق الحميدة فيه لا يخلو من بعض عيوب الناقصين إنه « قد يوجد ذو الحظ من العقل إن اجتمع له كثير من محمود الأخلاق ، ولا يخلو من نقص ما وصفتَ به ذا النقص من مذمومها » (ص / ٦٣) . وأعتقد أننا لو قلنا : « قد يوجد ذو الحظ من العقل ومن اجتمع له كثير من محمود الأخلاق ... إلخ » لاستقام الكلام .

وفي العبارة التالية من كلام الثعلب : « فإن استعمل الجاهل طلبا للعلم طلب منه ما لا يعرفه ، وإن استعمل الجود بذّر ، وإن استعمل الشجاعة قتل نفسه ، وإن استعمل البلاغة هذر فآذى جليسه ، وإن استعمل القناعة ترك الاكتساب وأفضى إلى المسألة » (ص / ٦٤) يبدو لي أننا إذا قلنا : « فإن استعمل الجاهل طلب العلم » بدلاً من « طلبا للعلم » كان أوفق ، إذ إن مفعول

« استعمل » فى جميع الجمل هنا معرف بـ « أل » ، فناسب أن يضاف « الطلب » إلى « العلم » حتى يصير فى حكم المعرف بـ « أل » ويلائم نظراءه من مفاعيل « استعمل » فى الجمل الأخرى .

وفى الصفحة الخامسة بعد الستين يسأل الوزيرُ الثالث الثعلبَ قائلاً : « فأخبرنى عن الأحمق الداهى : من أين أتاه الدهاء والمكر أهو موصوف بالنقص ؟ » . والصواب فيما أظن أن تقول : « من أين أتاه الدهاء والمكر وهو موصوف بالنقص ؟ » .

ويسأل الوزيرُ الثعلب : « من أين يُطْلَب الرزق ؟ » فيجيبه : « من حيث تكفّل به العبد » (ص / ٦٨) . ومما لاشكّ فيه أنها « من حيث تكفّل به الرب » .

وبعد ذلك بصفحة يسأله أيضا : « من أحقّ الناس بالرحمة ؟ » فيجيبه أن أحق الناس بالرحمة « عالم يجوّز عليه حكم جاهل » . أفتراها « عالم يَجُور عليه حكم جاهل » ؟

وفى الصفحة السادسة والستين نقرأ فى وصف الجاهل أنك « ربّما رأيته فى المجالس وحيث تضعه المحافل حليما وقورا صموتا . فإن أُعْطِى له لسانا سمعت له بيانا يقيم به الأمور ويشاركه أهل الحكمة فى التدبير » . ومن البين الواضح أنه لا مكان لشبه جملة

« له » التى أتت بعد العل « أُعْطِى » ، والا رُفعت كلمة « لسان » ولم تُنْصَب ، اللهم إلا إذا تُكُلّف لها توجيه أو شاهد شاذ . ثم إن « تضعه المحافل » ينبغى ، فيما أعتقد ، أن تكون « تضمَّه المحافل » . كذلك أظن أننا لو قلنا : « ويشارك أهل الحكمة فى التدبير » لكان أفضل ، لأن المراد فيما أرى هو أنك لو سمعت الجاهل وهو يتكلم لظننت أنه أحد الحكماء لا أن الحكماء يشبهونه .

ويصف الثعلبُ صاحبَ الدنيا قائلاً : « من هو فى جميع أموره فى حرب ومكابدة : يكابد الشيطان فى دينه ، والدنيا فى حرفته ، والأخلاق لتستقيم ، والأهواء لتنقدع ، والأدواء لتندفع ، والجهالة لتُمْتَحن ، والآمال لتُنال ، والمكروه ليزول » (ص / ٧٠) . ولا أظن قوله : « والجهالة لتُمْتَحن » إلا خطأً صوابُه : « والجهالة لتمَّحى » .

ويقول أيضا عن الحكيم إنه « من أضاع من ذلك ما نبا لحفظ ما بقى » (نفس الصفحة) . وأحسبها « من أضاع من ذلك ما فَنِى لحفظ ما بقى » . ولعلَّ الغلط بدأ من قلب ياء « فنى » ألفًا ثم صُحِّفَتْ بعد ذلك « فنا » إلى « نبا » . وقد تكرر فى المخطوطة قلب الياء فى آخر الفعل ألفا . ومن ذلك مجىء الفعل « بقى »

هكذا : « بنا » كما وضح الأستاذ الدكتور فى الهامش . كما أن فاء « الفانى » قد قُلبت فى المخطوطة باء ، وذلك فى قول الثعلب إن القصير الهمة هو « الراضى بالفانى العاجل من الباقى الآجل » . وقد أشار المحقق إلى هذا فى الهامش أيضا .

وفى سؤالى النمر التاليين للثعلب : « بم يرجع به سائل الكريم ؟ » و « بم يرجع به سائل اللئيم ؟ » (ص / ٧٤ ، ٧٥) لا لزوم للجار والمجرور « به » ، اللهم إذا كانت صيغة السؤال هكذا : « ما الذى يرجع به سائل الكريم / اللئيم ؟ » . وفى الأسئلة التى تلى ذلك ، وهى على نفس المنوال ، لا نجد لـ « به » هذه أى أثر .

وجوابا عن سؤال النمر : « بم يصيب الظن ؟ » يقول الثعلب : « إن لم يكتنفه العقل الراجح فهو فى الخطإ سائح أو بارح » . والصواب أن تقول : « سانح أو بارح » ، فهكذا العبارة الشائعة .

وبهذا تنتهى ملاحظاتنا على قراءة النص ، وننتقل إلى تلك الخاصة بترجمته . ولن نعيد هنا القول فيما سبق أن ذكرناه فى هذا الموضوع ونحن بصدد إبداء ملاحظاتنا على قراءة د . المهرى لمخطوطة الكتاب .

ومن هذه الملاحظات أن الأستاذ الدكتور قد ترجم عبارة : « أرض ذات فِجَاج » (ص / ٨) على أنها « أرض ذات شقوق : Les terrains crevassés » (P. 39) . وهذا غير صحيح ، فـ « الفجاج » هى الطرق الواسعة البعيدة (بين الجبال) . وقد جاء فى الذكر الحكيم : « وجعلنا فيها (أى فى الأرض) فجاجا سُبُلاً لعلهم يهتدون » (١٤) . « لتسلكوا منها (أى من الأرض) سُبُلا فِجَاجا » (١٥) . وترجم محمد حميد الله الأولى بـ « Et Nous avons assigné des défilés pour sentiers ... » (١٦) ، كما ترجم الثانية على النحو التالى : « pour que vous vous acheminez sur les sentiers de ses défilés » (١٧) . وفى ترجمة الصادق مازيغ نجدها هكذا على الترتيب « ... des défilés servant de route ... » و « ... de vastes chemins » (١٨) . وهذا كله ينسجم مع المعنى الذى ذكرناه .

كذلك فعند ترجمة قول سهل فى مقدمة الكتاب : « بعثه (أى بعث الله محمدا) نبيا هاديا ورسولاً داعيا إليه » (ص/ ٨) نجد د . المهيرى قد اكتفى بترجمة « نبيا : comme prophète » وأهمل كلمة « رسولاً » . ومعروف أن لكل من هاتين الكلمتين معناها الخاص بها : فى العربية وفى الفرنسية على السواء . والمقابل الفرنسى لـ « رسول » هو « un méssager » (١٩) .

وحين يقترح الثعلب على زوجته الانتقال من مسكنهما الذى كان فى طريق السيل فترفض اقتراحه يحكى لزميله ما حدث فيكون تعليقه أنه « ليس للنساء رأى ، فلا تحملك زوجتك بلجاجها على أمر فيه عطبك » (ص / ١٠) . ويترجم د . المهيرى عبارة « ليس للنساء رأى » على النحو الآتى: « Les femmes ne [dovient] pas avoir voix au chapitre (p. 41) » . ومعناه أنه يجب ألا يكون للنساء رأى . ولكننى أفضل لو أنه ترجم العبارة بحيث تعنى أن ليس للنساء رأى سديد ومن ثم ينبغى ألا يؤخذ بكلامهن ، إذ يبدو لى أن ذلك هو المراد .

ثم يجىء السَّيل فينصح الثعلب امرأته بترك المكان فى الحال قبل أن يغرقهما السيل ، لكنها تصر على البقاء قائلة إنه يحدث كثيرًا أن يأتى السيل ثم سرعان ما يتوقف فلا يغرق المكان . وهذا نص كلامها : « ما كلُّ أزَبَّ نَفُورٌ . وقد يجىء مثل هذا فى سنة مرارا فما يصل إلينا أوّله حتى ينقطع آخره » (ص / ١١) . وقد أُخِذَتْ عبارة « ما كل أزبّ نفور » من المثل القائل : « كل أزبّ نفور » ، ومعناه أن البعير الأزبّ (وهو الغزير شعر الوجه والعثنون) يتخيَّل المرئيات على خلاف حقيقتها بسبب ما حول عينيه من ذلك الشعر فينفر . لكن المترجم قد نقل كلمة « أزبّ » إلى

الفرنسية على النحو التالى : « tout chameau dont les yeus sont velus » (P. 24) ، ومعناها « البعير الغزير شعر العينين » ، وليس فى العينين شعر ، إنما هو شعر الوجه والعثنون كما قلنا .

وفى ترجمة بيت أمية بن أبى الصلت التالى ، وهو عن النفس والموت الذى يتربص بها :

يقودها قائد إليه ، ويحدو　　ها سريعا إليه سائقها (ص / ١٢)

ينسى د . المهيرى كلمة « سريعًا » (P. 43) .

ويقول الذئب للثعلب معبرًا عن خوفه من العمل واليًا للنمر : « إنه كان يقال : اتقوا مقارنة الحريص الغادر ، فإنه إن رآك فى القوة رأى منك أخبث حالاتك ، وإن رآك فى الفضول لم يدعْك وفضولك » (ص / ١٥) . و « الفضول » هنا ، كما هو واضح ، كثرة المال وزيادته عن حاجة الإنسان . والكلمة جمعٌ مفردُه « فَضْل » . بيد أن الأستاذ المترجم قد فهمها على أنها تعنى « عدم الأهمية » ، وترجمها بهذا المعنى فقال : « ,et s' il juge que tu es sans importance « il ne te laisse pas [en paix] avec ta médiocrité (P. 45) ، ومعناه : « وإن رآك عديم الأهمية لم يدعك فى سلامٍ وقلةَ شأنك » ، وهو بعيد جدا عن المراد .

ويردّ الثعلب على الذئب بأن الحاجة قد تضطر الإنسان إلى فعل ما يثقل على نفسه ، قائلاً : « قد يُبْلَغ الخصم بالقضم ،

ويَرْكَب الصعبَ من لا ذلول له » (ص / ١٥) . والبعير « الصَّعْب » هو الحرون الذى لا ينقاد لراكبه ، عكس « الذلول » . ومن لا بعير له ذلول ليس أمامه إلا أن يركب الصَّعْب ويعانى فى ركوبه من المشقات ما يعانى . لكن د . المهيرى قد قال فى ترجمة ذلك المثل إن الإنسان يستطيع ، دون رَكُوبة ، جَوْب الطرق الوعرة : « on pent , sans monture , parcourir des chemins difficiles » (P. 46) . وأين هذا من هذا ؟

وفى رسالة النمر الأولى للذئب نراه يقول له : « ولولا ما أحببتُ من أكون بالغ عذر ولا مرهق عسر ولا طالب اعتلال بترك مظاهر الحجج وتوكيدها قابضا يد العقاب قبل المداورة ، ومُلْبِسا جناح الرحمة قبل النقمة لأمسكتُ عن الكتاب إليك والعلم لك إلى أن تُبْسَل بما كسبت يداك » (ص / ٢٣) . ومعنى « بالغ عذر » أن النمر أراد أن يكتب إلى الذئب ليستطلع السبب فى نقضه العهد ويتيح له الفرصة كى يرجع عن تمرده وعصيانه ، حتى إذا استمر بعد ذلك فى هذا العصيان وأوقع النمر به العقاب كان عنده العذر الكافى ولا لوم عليه . لكن د . المهيرى قد ترجم هذه العبارة بقوله : « Si je n' avais pas voulu connaître tes excuses ... » (P. 51) ، ومعناه : « لولا أننى أردت أن أعرف أعذارك ... إلخ » ، وهذا

غير ذاك .

« فلما ورد الكتاب على الذئب أخذه ما قَدُم وحَدُث » .

هكذا قال سهل يصف حال الذئب عند وصول رسالة النمر التهديدية إليه (ص / ٢٤) . ومعناه أن همومه وأفكاره القديمة والحديثة قد استولت عليه ، أى أن الهموم قد أحدقت به من كل جانب . إلا أن الأستاذ المترجم قد نقل ذلك إلى الفرنسية على النحو التالى :

» Lorsque la lettre parvint au loup , il vit la situation passée et présente (p. 51) « ، أى أن الذئب ، عندما وردته الرسالة ، رأى الموقف الماضى والحاضر . ولا أدرى ما هذا !

وفى نهاية الصفحة الرابعة والعشرين وبداية الخامسة والعشرين نرى المحقق قد وضع بين قوسين جملةً تقع فى نحو سطرين ، ولكنه فى الترجمة قد أهمل هذه الجملة تماما ، مكتفيا بأن وضع فى مكانها نقطا بين معقوفتين (P. 52) .

وهو يترجم « الثغر المخُوف » (ص / ٢٦) بـ « cette région frontalière : المنطقة الحدودية » (P. 53) ، مهملاً بذلك وصف « الثغر » بأنه « مخوف » ، أى يُخْشَى من اختراق الأعداء له .

وعندما يستشير النمر وزراءه فى المنهج الذى يحسن أن يتبعه مع الذئب ، الذى أظهر التمرد ولم يرسل الخراج المطلوب ، يكون من

رأى الوزير الثانى « أن يتلافاه الملك ويصفح عن زلته ويتجافى له عما فى يده ، فإنه إن يُودِيهِ بالعداوة احتيج إلى محاربته وإلى جمع الرجال وإنفاق الأموال بالأضعاف لما كان يتجلب من الخراج بناحيته » (ص / ٢٧) . وقد نقل د . المهيرى العبارة الأخيرة إلى الفرنسية هكذا : « (il faudra) ... dépenser des sommes qui dépasseront les tributs que sa province aurait du supporter (P. 54) » .

وعبارة الترجمة تقصر عن الأصل ، إذ إن هذا يقول إن مصاريف الحرب سوف تبلغ أضعاف الخراج الذى كان سيَرِد من الولاية التى يحكمها الذئب ، أما تلك فتكتفى بالقول بأن نفقات الحرب ستزيد عن ذلك الخراج .

وفى ترجمة ما قاله أحد الحكماء من أن « معاداة الملوك كالسيل بالليل : لا تدرى كيف يأتيك ولا كيف تتقيه » (ص / ٢٩) يقول د . المهيرى : « Être l'ennemi des rois ... c'est [affronter] le torrent dans la nuit (P. 55) » . وأرى أن كلمة « affronter : يواجه - يتصدّى لـ ... » لا تؤدى المعنى المطلوب ، بل المراد أن معاداة الملوك تشبه هجوم السيل فى الليل بغتة ، فلا مواجهة ولا يحزنون ، بل يجرف السيل كل ما فى طريقه . وقد فسّر باقى النصّ ذلك بما لا يخرج عما قلناه .

ومعروف أن كلمة « الخَوَل » تعنى العبيد والإماء وأمثالهم من الأتباع والحشم . على الأقل هذا ما تعنيه فى الغالب بحيث لا ينصرف الذهن عادة إلا إليه . وبهذا المعنى وردت فى رسالة الذئب الثانية إلى النمر، وذلك فى قوله : « وأعجبك كثرة الخَوَل والأعوان » (ص / ٣١) . لكن الأستاذ المترجم وضع بإزائها كلمة « les biens » ، أى الأموال والممتلكات (P. 57) .

وقد نسى د . المهيرى أن يترجم العبارة الختامية فى رسالة النمر الرابعة للذئب ، ونصها « فلا أبعد الله غيرك ! والسلام » (ص / ٣٧ - P. 62) .

كما أنه عندما ترجم قول المؤلف التالى فى وصف المعركة التى دارت بين الذئب وخدّاش : « فضربه خدّاش بكفه ضربة خلعت يده » (ص / ٤٠) قد وضع بإزاء « خلعت يده » عبارة « Haddas lui arracha la patte » (P. 64) ، بما يفيد أن خدّاشا قد قلع يد الذئب من مكانها قلعًا ، على حين أن المقصود هو تمزق المفصل فقط . وهذا يفهم من أن خلع اليد كان بتأثير ضربة ، والضربة مهما كانت قوتها لا تقلع يدا من مكانها ، وإنما يكون ذلك بشدّ عنيف أو بآلة حادةٍ أو ما إلى ذلك . علاوة على أن الذئب قد قتل خدّاشا فى الحال ، ولو كانت يده قد قُلِعت ما أمكنه ذلك . ثم

إن القصة تقول عقيب هذا إن الذئب قد عُولج حتى برىء ، وهذا يعنى أن المفصل قد التأم . أما إذا كانت اليد قد قُلِعَتْ من مكانها قلعًا فكيف يبرأ الذئب ؟ وكذلك ليست هناك أية إشارة إلى أن الذئب قد أصبح بيد واحدة ، كالقول بأنه كان يخمع فى مشيته مثلا . لا ، بل إن القصة تمضى فتذكر أن الذئب قد حارب بعد ذلك النمر وجيشه (ص / ٤٣) ، ولو كانت يده قد قُلِعَتْ قَلْعًا ما استطاع ذلك ولا فكّر فيه . بل إن أحد وزراء الملك قبل هذه المعركة كان يخاف ، إن هم أرسلوا إلى الذئب جيشًا آخر ، أن يهزمه ويهجم على العاصمة ويهدّد النمر ذاته (ص / ٤٠) . وهذا لا يمكن أن يقال لو كانت يده قد قُلِعت قلعا .

وفى وصف الثعلب للجاهل وكيف أنه يبدو فى المجالس والمحافل حليما وقورًا ، « فإن أُعْطِى له لسانًا سمعت له بيانًا يقيم به الأمور ويشاركه أهل الحكمة فى التدبير . فإذا قام من مجلسه وأفضى إلى تدبير نفسه رجعت منه إلى عقدة ضعيفة ... ورأى معتل ... إلخ » (ص / ٦٦) نجد أن د . المهيرى قد ترجم قوله : « فإن أُعْطِىَ له لسانا » بما معناه « فإن أعطى الناس له الكلمة » ، أى جاء دوره فى الكلام : (P. 85) « Si on lui donne la parole » ، وليس هذا هو المراد .

وعقب ذلك يسأل الوزيرُ الثعلبَ ، والكلام مازال عن الجاهل وما يبدو عليه في المحافل من حلم ووقار ولَسَن ، فيقول : « فلِن أتاه الحلم والوقار والعبارة واللسان ؟ » . والعبارة على هذا النحو لا تنسجم مع السياق ، لأن القصة قد ذكرت قبل ذلك أنه يبدو في المجالس الحافلة فعلاً حليمًا وقورًا لسِنا . وقد وضع الأستاذ الدكتور فـي مقابل حرف الشرط « إنْ » عند ترجمـة هـذه الجملـة كلمـة « comment » (P. 85) ، وعلق في الهامش بأن « الترجمة الحرفية لـ « إنْ » هي « si » ، لكن أداة الشرط لا تلائم السياق » ، وهو نفس ما قلناه قبل قليل . ومـن المؤكـد أننا لو جعلنا مكان « إن » (وربمـا كانـت في الأصل المخطوط بغيـر همزة) كلمـة « أنـى » (وهي أقرب ما تكون منها في الرسم الكتابي) لانحلتِ المشكلة ، فـ « أنّى » هنا معناها « كيف : comment » .

وأخيرًا يترجم د . المهيري قول الثعلب الآتي: « فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى توفيه رزقه فيها ، ومن طلب الدنيا طلبه الموت حتى يخرجه منها » (ص / ٦٩) هكذا : « Qui recherche l'autre monde , ce monde - ci le recherche jusqu'à ce qu'il l'ai privé de toute ressource (P. 88) » ، وهو ما يعني أن من طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى تحرمه من كل مصـادر الـرزق . ولا أدري كيف تحوّلت « توفيه » عنده إلى « تحرمه » . ولعلها من سهوات الترجمة التي

كثيرا ما تعرض لمن يزاولونها .

ومرة أخرى نؤكد أن هذه الملاحظات لا تعنى بحالٍ التقليلَ من جهد الدكتور المهيرى ، بل هى مجرد جهد يضاف إلى جهده قمنا به خدمةً للعلم . ولعله أن يكون فيها شيء من الفائدة للباحثين والناظرين فى كتاب المؤلّف العباسى وترجمة الباحث التونسى . والله ولىّ التوفيق .

الهوامش

1- P. 31 .

٢- انظر كلمة المحقق (باللغة العربية) التي قدم بها لتحقيق الكتاب ، وهي في أول صفحة من جهة اليمين بعد صفحة العنوان .

3- P. 33 .
4- P. 41 .
5- P. 41 .

٦- المزمل / ٨ .

7- P. 51 .
8- P. 52 .
9- P. 53 .
10- P. 54 .
11- P. 80 .
12- P. 80 .
13- P. 81 .

١٤- الأنبياء / ٣٦ .

١٥- نوح / ٢٠ .

16- Le Saint Coran , 8ème edition , Beyrouth , 1973 , P. 423 .
17- P. 769 .
18- Le Coran , Maison Tunisienne de l' Édition , P. 609 .
19- P. 1095 .

مصادر الفصول الثلاثة الأخيرة (المؤلَّفة) ومراجعها

* ابن شاكر الكتبي / فوات الوفيات / بولاق / ١٢٩٩ هـ .

* ابن المقفع / المجموعة الكاملة لأعمال ابن المقفع / ط ٤ / دار البيان ودار القاموس الحديث / بيروت / ١٩٧٠م .

* ابن نباتة / سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم / دار الفكر العربي / ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .

* ابن النديم / الفهرست / تحقيق رضا - تجدد / طهران / ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .

* بروكلمان / تاريخ الأدب العربي / ترجمة د . عبدالحليم النجار / ط ٤ / دار المعارف .

* الجاحظ / البخلاء / تحقيق أحمد العوامري وعلى الجارم / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

* الجاحظ / رسالة فصل ما بين العداوة والحسد (في « مجموع رسائل الجاحظ » / تحقيق باول كراوس وطه الحاجري / لجنة التأليف والترجمة والنشر / القاهرة / ١٩٤٣ م) .

* الحصري / زهر الآداب (على هامش « العقد الفريد » / المطبعة الميرية بمصر) .

* شارل بلات / الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء / ترجمة د . إبراهيم الكيلاني / دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر / دمشق / ١٩٦١م .

* د . شوقي ضيف / العصر العباسي الأول / ط ٦ / دار المعارف .

* د . شوقي ضيف / الفن ومذاهبه في النثر العربي / ط ٥ / دار المعارف .

* د . عبد الله سلوم السامرائي / الشعوبية محركة مضادة للإسلام والأمة

العربية / المؤسسة العراقية للدعاية والطباعة .

* د . عمر فروخ / تاريخ الأدب العربي / ط ٤ / دار العلم للملايين / ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

* ليلى حسن سعد الدين / كليلة ودمنة في الأدب العربي - دراسة مقارنة / مكتبة الرسالة / عمان .

* محمد حامد الناصر / الحياة السياسية عند العرب - دراسة مقارنة على ضوء الإسلام / مكتبة السنّة / القاهرة / ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

* د . محمد غنيمي هلال / الأدب المقارن / دار نهضة مصر / القاهرة .

* محمد كرد علي / أمراء البيان / ط ٣ / دار الأمانة / بيروت / ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م .

* د . محمد نبيه حجاب / مظاهر الشعوبية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري / ط ١ / مكتبة نهضة مصر / ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .

* المسعودي / مروج الذهب / تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد / ط ٢ / المكتبة التجارية / ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م .

* د . مصطفى الشكعة / الأدب في موكب الحضارة الإسلامية / ط ٢ / دار الكتاب اللبناني / ١٩٧٤ م .

* ياقوت الحموي / معجم الأدباء / ط ٣ / دار الفكر / ١٤٠٠ هـ - ١٩٨١ م .

* Abdel - Kadir Mehiri , An - Namir Wa - t - ta' lab (le Panthère et le Renard) , Publications de L' Université de Tunis , 1973 .

* E. J. Brill's First Encylopaedia of Islam .

* Muhammad Hamidullah , Le Saint Coran , 8 ème ed. , Beyrouth , 1973 .

* Sadok Mazigh , Le Coran , Maison Tunisienne de l' Édition .

الفهرس

د. إبراهيم عوض (آداب عين شمس)

دكتوراه من جامعة أوكسفورد ١٩٨٢م

له عدد من المؤلفات النقدية والإسلامية منها:

- معركة الشعر الجاهلي بين الرافعي وطه حسين
- المتنبي ـ دراسة جديدة لحياته وشخصيته
- لغة المتنبي ـ دراسة تحليلية
- المتنبي بإزاء القرن الإسماعيلي في تاريخ الإسلام (مترجم عن الفرنسية مع تعليقات ودراسة)
- المستشرقون والقرآن
- ماذا بعد إعلان سلمان رشدي توبته؟ دراسة فنية وموضوعية للآيات الشيطانية
- الترجمة من الإنجليزية ـ منهج جديد
- عنترة بن شداد ـ قضايا إنسانية وفنية
- النابغة الجعدي وشعره
- من ذخائر المكتبة العربية
- السجع في القرآن (مترجم عن الإنجليزية مع تعليقات ودراسة)
- جمال الدين الأفغاني ـ مراسلات ووثائق لم تنشر من قبل (مترجم عن الفرنسية)
- فصول من النقد القصصي
- سورة طه ـ دراسة لغوية أسلوبية مقارنة
- أصول الشعر العربي (مترجم عن الإنجليزية مع تعليقات ودراسة)
- افتراءات الكاتبة البنجلاديشية تسليمة نسرين على الإسلام والمسلمين ـ دراسة نقدية لرواية "العار"
- مصدر القرآن ـ دراسة لشبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحي المحمدي
- نقد القصة في مصر من بدايته حتى ١٩٣٠م
- د. محمد حسين هيكل أديبا وناقدا ومفكرا إسلاميا
- سورة النورين التي يزعم فريق من الشيعة أنها من القرآن الكريم ـ دراسة تحليلية أسلوبية
- ثورة الإسلام ـ أستاذ جامعي يزعم أن محمدا لم يكن إلا تاجرا (ترجمة وتفنيد)
- مع الجاحظ في رسالة "الرد على النصارى"
- محمد لطفي جمعة ـ قراءة في فكره الإسلامي
- إبطال القنبلة النووية الملقاة على السيرة النبوية ـ خطاب مفتوح إلى الدكتور محمود علي مراد في الدفاع عن سيرة ابن إسحاق

- سورة يوسف ـ دراسة أسلوبية فنية مقارنة
- سورة المائدة ـ دراسة أسلوبية فقهية مقارنة
- المرايا المشوّهة ـ دراسة حول الشعر العربي في ضوء الاتجاهات النقدية الجديدة
- القصاص محمود طاهر لاشين ـ حياته وفنه
- في الشعر الجاهلي ـ تحليل وتذوق
- في الشعر الإسلامي والأموي ـ تحليل وتذوق
- في الشعر العربي الحديث ـ تحليل وتذوق
- موقف القرآن الكريم والكتاب المقدس من العلم
- أدباء سعوديون
- دراسات في المسرح
- دراسات دينية مترجمة عن الإنجليزية
- د. محمد مندور بين أوهام الادعاء العريضة وحقائق الواقع الصلبة
- دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية ـ أضاليل وأباطيل
- شعراء عباسيون
- من الطبري إلى سيد قطب ـ دراسات في مناهج التفسير ومذاهبه
- القرآن والحديث ـ مقارنة أسلوبية
- البسار الإسلامي وتطاولاته الفضوحة على الله والرسول والصحابة
- محمد لطفي جمعة وجيمس جويس
- "وليمة لأعشاب البحر" بين قيم الإسلام وحرية الإبداع ـ قراءة نقدية
- لكن محمدا لا بواكي له ـ الرسول يهان في مصر ونحن نائمون
- مناهج النقد العربي الحديث
- دفاع عن النحو والفصحى ـ الدعوة إلى العامية تطل برأسها من جديد
- عصمة القرآن الكريم وجهالات المبشرين
- يعيش سيبويه وتعيش لغة القرآن ـ وكيل وزارة الثقافة يفتح النار على الفصحى ويتنبأ بسقوط سيبويه
- في الأدب وتذوقه
- الفرقان الحق: فضيحة العصر ـ قرآن أمريكي ملفق

- سهل بن هارون (وكتاب النمر والأنثى) فصول مترجمة ومؤلفة.
- في الشعر العباسي (تحليل وتذوق) .